دلالة الجملة العربية في ضوء نظريه السياق ونظريه الفضاء الذهني

أ. م. د. حسام عبد علي الجمل

ظافر كاظم عبد الرزاق

جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

المقـدمة

قدمت الدراسات اللسانية عبر تاريخها الطويل نظريات متعددة ومناهج متنوعة كان لكل واحدٍ منها اهتماماته وأسسه ومفاهيمه المختلفة التي ينطلق منها في بناء تصوراته حول اللغة ، ومع اختلاف هذه النظريات والمناهج واختلاف درجة تركيزها على جوانب اللغة المختلفة ، حاولت هذه النظريات بمجملها ان تقيم دراسة اللغة على أسس علمية موضوعية رصينة لا مكان فيها للذوق أو الانطباعات الشخصية ، وذلك لأن هدف هذه المناهج والنظريات هو أن ترقى بدراسة اللغة الى مصاف الدراسات العلمية الخالصة ، أو أن تقترب منها قدر الامكان ما استطاعت الى ذلك سبيلا . وهذا هو الاساس الذي بنيت عليه النظريات اللسانية وان اختلفت مناهجها وتنوعت اساليبها في دراسة اللغة وتحليلها . وقد اخذت اللسانيات اهتماماً متزايداً من الدارسين العرب ولا سيما في سبعينات القرن الماضي ، إذ يمثل هذا التاريخ بداية الاهتمام الحقيقي باللسانيات وافكارها وان سبقت هذه المدة بدراسات عدة لباحثين عرب من بلدان مختلفة بنيت على اساس لساني او حاولت ان تعرف باللسانيات وتطبق مناهجها في دراسة اللغة العربية فهذه الدراسات مع مابذلته من جهدٍ كبيرٍ وما تكبدته من عناء البداية الشاق الذي لابد منه في بيئة غير بيئتها الاولى ، كانت بمثابة الاساس أو المنطلق للدراسات الاخرى التي ازدهرت فيما بعد ، ولاسيما بعد انحسار نظرة الريبة والشك عن هذا النوع من الدراسات بعد ان اتضح للدارسين العرب اهداف الدراسة اللسانية وطبيعة اهتمامها باللغة المبنية على محاولة فهم اللغة الانسانية بصورة عامة من دون ان يكون هناك تمييز بين لغة وأخرى ، أو تعصب لهذه اللغة أو تلك ، أو أي افتراض مسبق فيما يخص دراسة اللغة على نحو عام .

انتظم هذا البحث في مبحثين وخاتمة تضمن المبحث الاول دلالة الجملة في ضوء نظرية السياق ، وتضمن المبحث الثاني دلالة الجملة في ضوء نظرية الفضاء الذهني . مع خاتمة موضحة لمجريات البحث ومن الله التوفيق .

المبحث الاول
نظرية السياق

أ- دلالة الجملة في ضوء نظرية السياق

يدرس اصحاب هذه النظرية معاني الكلمات والعبارات والجمل من خلال (السياقات) أو المواقف التي ترد فيها . وبهذا يكون للكلمة أو العبارة او الجملة معانٍ مختلفة إذا وردت في (سياقات) مختلفة[١] وقد يكون المراد بالسياق هو (السياق اللغوي) أي : ((البيئة اللغوية التي تحيط بصوت أو (فونيم) ، او (مورفونيم) او كلمة أو عبارة او جملة))[٢].

وقد يرد به (سياق الحالة) أي : ((الموقف الخارجي الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر ، ويشمل ذلك زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحدثين ، والقيم المشتركة بينهم ، والكلام السابق للمحادثة [٣])). وهذا المفهوم ما تعنى به نظرية السياق .

وترتبط لفظة (سياق الحالة) بعالمين الاول هو : (مالينوفسكي) عالم الانثروبولوجيا البولندي الاصل ، الأستاذ في مدرسة لندن للأقتصاد . والثاني هو اللساني (فيرث) استاذ علم اللغة بجامعة لندن ، وكلا هذين العالمين مهتم بتحديد المعنى بموجب السياق الذي تستعمل فيه اللغة ، ولكن بطرق مختلفة الى حدٍ ما[٤].

وينبع إهتمام (مالينوفسكي) من عمله في جزر تروبراند التي سافر اليها في اعقاب الحرب العالمية الثانية لأجراء بحوث ميدانية عن أهالي تلك الجزر وقد وجد في أثناء تسجيل ملاحظاته ((أنه من الصعب ترجمة مايقوله أهالي تلك الجزر من عبارات وجمل ترجمة حرفية الى اللغة الانكليزية . ووجد أن تلك الصعوبة تزداد حينما يصل الامر الى الحديث عن عادات وتقاليد خاصة بأهالي تلك الجزيرة.))[٥].

وكان من النصوص التي سجلها (مالينوفسكي) وفشل في إنتاج ترجمة مرضيه لها ، كان ذلك : تفاخرٌ لصاحب زورق ترجمه الى : نحن نسيرُ الخشبه الأمامية بأنفسنا .... ونحن نلتفت ونرى صاحبنا : انه يسير الخشبه الخلفية[٦] .

اذ يرى (مالينوفسكي) : ((ان لهذا لقول معنى فقط إذا وضعنا الجملة في السياق الذي إستعملت فيه أصلاً ، اذ سيكون واضحاً أن الخشبه مثلاً تشير الى مجذاف الزورق)) [٧] .

وقد خرج بمجموعة من الملاحظات من محاولاته في حل تلك المشكلة ((نشرها في كتاب يعد من أمتع كتب الرحلات (الحدائق الساحلية وسحرها) وهذه الملاحظات هي التي أرست مباديء نظرية سياق الحال في وصف المعنى))[٨]

وكان من ملاحظاته أن ((اللغات الحية يجب ألا تعامل مثل اللغات الميتة مقطوعة عن سياق حالتها ، بل يجب ان ينظر اليها كما يستعملها الناس لصيد الحيوانات البرية وصيد الاسماك

والحرث (كذا) ... الخ إن اللغة كما هي مستعملة في الكتب ليست القياس أبداً ، بل هي تمثل وظيفة طارئة ثانوية للغة ، لأن اللغة لم تكن أصلاً من مرآة للفكرة المعكوسة ، فاللغة كما يقول مالينوفسكي (اسلوب عمل) وليست تصديقاً للتفكير))[٩] .

وبناءً على هذا يتحدد معنى الجملة في السياق المعين الذي ترد فيه ، والسياق الذي يراه (مالينوفسكي) أنه البيئة الطبيعية أو الواقع الثقافي للمجتمع حيث انه كان يكتب (كأنثروبولوجي)))[١٠] . وجميع آرائه ومناقشاته تستند الى ((ملاحظته للطريقة التي لاأمت فيها لغة الناس الذين درسهم نشاطاتهم اليومية وكانت بذلك جزءاً لا ينفصل منهم))[١١] ، ويشير (مالينوفسكي) الى ما في مجتمعنا الأكثر تعقيداً من ((أهمية خاصة لتعابير How do you do كيف أنت ؟ التي تستعمل لتوطيد مشاعر مشتركة))[١٢] ومثلها الحديث عن الجو والعائلة ، وهو الجانب اللغوي الذي يدعى بـ((التحادث الاجتماعي ، حيث الكلمات لا تحمل معناها بل ان لها وظيفة اجتماعية بحتة))[١٣] .

وقد أثارت آراء (مالينوفسكي) ومناقشاته بعض الانتقادات التي تتمثل بكونه ، ((لم يتوسع في الحديث عن السياق وكيف يمكن تناوله ضمن نظريته لتحليل المعنى لأن (مالينوفسكي) لم يكن مهتماً بصياغة نظريةٍ لغويةٍ))[١٤] لهذا لم يناقش ((الطرق التي يمكن أن يعالج بها السياق بصورة منتظمة لغرض إصدار بيان عن المعنى))[١٥] ومما أنتقد فيه أيضاً أن كثيراً من الفعاليات اللغوية لسكان جزيرة تروبراند التي درسها غير مرتبطة جيداً بالسياق [١٦] ، كذلك لايمكن ان يعد وصفةً للغة سكان هذه الجزر بأنها (لغة بدائية) مقبولاً لسانياً فـ(على الرغم من أن هناك أقواماً بدائية تعوزهم المعرفة والمهارة الموجودة عند الاقوام المتحضرة ، فلا يصح أن نعد لغة ما بدائية . وطبيعي أن هناك لغات كثيرة لا تملك مفردات المجتمع الصناعي الحديث ، لكن هذا يعكس اهتمامات المجتمع وليس الطبيعة البدائية للغة ، وبعبارة لغويةٍ بحتة ، يبدو أكيداً أن ليس ثمة لغة يمكن الحكم عليها بأنها أكثر بدائية من غيرها))[١٧] .

أما (فيرث) فيرى أن اكثر حقائق اللغة أهمية هي : ((وظيفتها الاجتماعية ، فالسلوك اللغوي العادي في الجملة ليس اكثر من الجهد الدلالي الذي يقصد به الاستبقاء على افضل السبل ملاءمة للتفاهم خلال انماط حياتنا المتنوعة))[١٨] .

وهو في هذا المجال لاينكر فضل (مالينوفسكي) عليه ، لكنه كان ((يشعر أن سياق الحالة لـ(مالينوفسكي) لم يكن مرضياً للمدخل اللغوي الدقيق الى المشكلة))[١٩] ، فهو عنده ((قطعة من العملية الاجتماعية التي يمكن دراستها بصورة مستقلة أو كناية عن حلقة منتظمة من الاحداث أي : مجموعة واقعية وقابلة للملاحظة من الاحداث))[٢٠] ، لهذا اعطى (فيرث) لفكرة

السياق ((أبعاداً أعمق ، فقد جعلها تخطيطاً مجرداً ، وحصرها في مجال اللغة بعد ان كانت فكرة عامة تمس النواحي الثقافية في المجتمع))[٢١] ، وفضل ((أن يرى سياق الحالة جزءاً من اداة اللساني تماماً مثل التصانيف القواعدية التي يستعملها))[٢٢] .

ويعتقد (فيرث) ان ((الصيغ اللغوية لها دور في اداء المعنى على المستويات المعجمية والنحوية والصرفية ومثل هذه المعاني يمكن تحديدها بوساطة العلاقات الداخلية للصيغ في الانظمة اللغوية التي تقدمها اللغة))[٢٣] إلا أن المعنى عنده ((نتيجة علاقات متشابكة متداخلة ، فهو ليس فقط وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة ، ولكنه أيضاً حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الاشخاص في المجتمع ، فالجمل تكتسب دلالاتها في النهاية من خلال ملابسات الاحداث أي من خلال سياق الحال))[٢٤] ، وهكذا يكون لكل تعبير يقال أو يظهر في سياق ثقافي سياق حال عند فيرث ((ودلالة الكلام هي مجموع الملامح المميزة له التي يمكن ان يكون لها دور في المحافظة على انماط الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه المتكلم . ويمكنها كذلك تأكيد دور المتكلم الاجتماعي وشخصيته في المجتمع))[٢٥]. وهو يرى أن ((هذه الملامح لا تعطى على شكل حقائق ولكنها تستخلص من الكلام بالدراسة الدقيقة الواعية للمتقابلات او المتناقضات التي تنشأ بين العبارات في سياقات مختلفة او متفقة))[٢٦] ، هذه الآراء التي قدمها (فيرث) جعلت منه زعيماً لأتجاه لغوي عرف بأسم (مدرسة لندن) التي ضمت اساتذة وباحثين آخرين فضلاً عن (فيرث) مثل (هاليدي) ، و(ميتشل) ، و(جون لاينز) الذي تعد آراؤه من التطورات المهمة المرتبطة بنظرية (فيرث) السياقية للمعنى [٢٧] ، والجانب الواضح الذي تؤكد عليه هذه المدرسة هو : ((إن المعنى لا يؤدى ، ولا ينبغي قصر تحليله على المستوى الدلالي فحسب ، بل إن جميع المستويات تتضافر لأداء المعنى . فهناك معنى على المستوى النحوي ، وهناك معنى على المستوى اللفظي وهكذا))[٢٨] .

ويوضح (فيرث) هذه النقطة بقوله إن ((الاشكال اللغوية لها معنى على المستوى النحوي واللفظي . وهذا المعنى تحدده انماط الانظمة النحوية التي تقام للغة .

إن حالة الرفع في لغة ذات اربع حالات إعرابية سيكون لها بهذا المفهوم معنىً مختلفٌ عن حالة الرفع في نظام ثنائي أو نظام له اربع عشرة حالة إعرابية مثلاً))[٢٩] ، وكذلك هناك معنىً نحوي مختلف للمفرد في نظام ثنائي عن معناه في نظام ثلاثي كالعربية أو رباعي العدد كاللغة الفيجية التي نفرق بين المفرد ، والمثنى ، والجمع القليل ، والجمع الكثير [٣٠] .

وتكمن الوظيفة الاساس للألسنية عند (فيرث) في بيان معنى الحدث اللغوي الذي تحدده وظيفة الحدث اللغوي من خلال خضوعه للتحليل تدريجياً على مستويات اللغة كافة ، الصوتية ،

والصرفية ، والنحوية ، في ظل سياق الحال [٣١] ، الذي يتكون من مجموعة من العناصر ينبغي اخذها بعين الاعتبار ، يقترح

(فيرث) لها التصنيفات الاتية :

((أ- السمات المهمة للمشاركين : الاشخاص والشخصيات :

١- الجهد اللفظي للمشاركين .

٢- الجهد اللالفظي للمشاركين .

ب- الاشياء ذات العلاقة .

جـ- أثر الجهد اللفظي .))[٣٢]

ويقصد بالجهد اللفظي : ((الاحداث اللغوية نفسها . أي العبارات المنطوقة بالفعل . وكيفية نطق الجملة او الجمل من حيث التنغيم والنبر الخلافي وما يصاحب هذه الاحداث اللغوية من مظاهر لغوية غير منطوقة ، كحركة اليدين وتعابير الوجه))[٣٣] ويقصد بالجهد اللالفظي : الحقائق المتعلقة بالمشاركين ((كأن نذكر مثلاً ما اذا كان المشارك طفلاً او رجلاً ناضجاً ذا مكانة اجتماعية مرموقة ، او امرأة . ويندرج تحت هذا العنوان الخلفية الثقافية للمتكلمين))[٣٤] . ويراد بالأشياء ذات العلاقة : ((الامور المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي))[٣٥] .

أما اثر الجهد اللفظي : فهو ((ما يستتبع النطق من سلوكٍ اعتماداً على العبارات المنطوقة ، فقد تؤثر جملة ما على أحد السامعين ولكن لا تترك نفس الاثر [٣٦] في سامعٍ آخر لأختلاف العادات والتقاليد))[٣٧] ، ويرى (فيرث) أنه : ((يمكن بهذه الطريقة تجميع سياقات الحالة وتصنيفها وهذا أمر جوهري إن أريد لها ان تكون جزءاً من التحليل اللساني للغة))[٣٨] وقد اقترح (أمير) تقسيماً من اربع شعب :

١- السياق اللغوي .

٢- السياق العاطفي.

٣- سياق الموقف .

٤- السياق الثقافي.

وقد عُدَّ هذا التقسيم تعسفاً ظاهراً وتفتيتاً متكلفاً ((لا حاجة للدرس اللغوي اليه ، لأن السياق نوعان لا ينفصلان ، سياق اللغة ، وسياق الحال ، والاول يعتمد على الكلام المنطوق ، والثاني يعتمد على الظروف والملابسات المحيطة بالحدث الكلامي وهذه الظروف الملابسة للحدث الكلامي تشمل بقية انواع السياق عند (أمير) حيث لا يمكن فصل الانفعالات الخاصة بالمتحدث او المستمع ، او فصل الظروف الاجتماعية او المستوى الثقافي عن الموقف الكلامي،

فالمجتمع وثقافته واحداثه وجميع ظروفه تشكل الشق الثاني من المعنى الذي يستفاد من خارج الكلام المنطوق))[٣٩] .

وأياً كان الامر فإن (فيرث) قد تعامل ((مع سياق الحال تعامله مع أي مستوى لغوي آخر ، هذا إذا لم يكن السياق هو المظلة التي تحتضن هذه النظم وتتحكم فيها))[٤٠] وكما يقول (يالمر) : ((يمثل السياق في نظر (فيرث) اداة من ادوات البحث اللغوي بالطريقة نفسها التي يستعمل بها النظام النحوي مثلاً . وهو لا يتصور علماً للدلالة دون الاحاطة بالسياق حيث يقول: إن التصور الاساس في علم الدلالة يقوم على سياق الحال))[٤١] ، ومن اجل الوصول الى المعنى الكلي وبيانه يقترح (فيرث) ((تشقيق المعنى الى سلسلة من الوظائف الاساسية ، وكل وظيفة تحدد بحسب فائدة الصيغ اللغوية وعلاقتها بسياق الكلام))[٤٢] .

فعلى اللغوي أن يقوم بأستخلاص البيانات تدريجياً عن طريق توجيه الجملة الى مستوياتها ويبدأ هذا التوجيه ((بالدلالة الصوتية ثم الدلالة الصرفية ، والنحوية ، والمعجمية ، والاجتماعية ومجموع هذه الدلالات يوضح خصائص هذا الحدث الكلامي ، ويكشف عن معناه ويؤدي الى فهمه))[٤٣] .

ولاينكر (فيرث) ان الجملة تحمل معنىً متمثلاً بمكوناتها القواعدية والمعجمية فهو يرى : ان ((الجمل يمكن صياغتها جيداً طبقاً لقواعد النحو والصرف لوضعها في اطارها الخاص بها ، وقد يكون لها معنى يمكن فهمه من خلال ما تقتضيه قواعد النحو ، والصرف وبعد ، فإذا كانت عبارات بلا مضمون فإنها ستكون من وجهة النظر الدلالية مجرد هراء))[٤٤] . لكنه يؤكد وجوب النظر الى المعنى ((على انه مركب من العلاقات السياقية والاصوات ، والنحو ، والصرف ، والمعجم ، والدلالة ، وكل منها يوجه عناصره الخاصة به في التركيب في سياقه المناسب .

وهكذا تتعاون فروع الألسنية كلها في اداء المعنى .))[٤٥] ويستعير (فيرث) لتوضيح هذه النقطة ((تشبيه الطيف الشمسي الذي يتحلل فيه الضوء الى أقواله الموجبة المتعددة كذلك تحلل اللسانيات المعنى الى (طيف للبيانات المتخصصة) وهكذا فكل انواع الوصف اللغوي لـ(لفيرث) : علم الصوت والقواعد ... الخ وسياق الحالة ، بيانات المعنى ، فوصف المعنى بموجب سياق الحالة ليس اذن سوى أحد الاساليب التي يعالج اللساني بها اللغة ، وليس مختلفاً مبدئياً عن الطريق التي يؤدي بها اللساني عمله))[٤٦] .

ويرى (فيرث) أيضاً ((ان المعنى أو الوظيفة في السياق يمكن تفسيرها بشكل مقبول في ذلك السياق . وكل حديث أو جزء منه يكون ذا معنى فقط اذا أمكن استعماله بشكل ملائم في بعض السياقات الواقعية او العملية وواجب اللغوي الذي يصف لغة معينة ان يحدد مستويات

مختلف المكونات بشكل مقبول ، الاصواتيه ، والنحوية ، والصرفية ، والمعجمية ، والدلالية . وعليه أن يبين أن أي حديث لكي يكون تام المعنى يجب ان يكون مقبولاً على كل المستويات))[٤٧] ، ويمكن ان نوضح كيفية (تحليل) الجمل انطلاقاً من نظرية فيرث السياقية عن طريق (تحليل) بعض الجمل البسيطة ، مثل : ولدت المرأة ، أو هذا الولد ، او الولد كبير، وعند (تحليلها) علينا ان نلتزم ببعض الخطوات التي تقودنا الى توضيح المعنى الكلي وبيانه .

فنلاحظ ان كلمة (ولد) مثلاً لها وظيفة صوتية ناجمة من تركيبها من الحروف الثلاثة (و ل د) مما يجعلها ذات دلالة مختلفة عن غيرها من الكلمات مثل : (بلد ، يلد ، وجد) وان كانت تشترك معها ببعض الحروف ، فاختلاف معنى هذه الكلمات يعود الى تمييز كل منها عن الاخرى في بعض الاصوات .

وعندما ننظر الى الجانب المعجمي نجد لهذه الكلمة معنى مختلفاً عن مقابلاتها الاستبدالية مثل : (بلد ، ولع ، وجد) لهذا يختلف استعمالها عن استعمال هذه الكلمات لأنها تؤدي وظيفة معجمية مختلفة لذا يمكننا أن نقول : (ولد نحيل) مثلاً ، لكن لايمكن ان نقول : (بلد نحيل) [٤٨] ولهذه الكلمة ايضاً معنى صرفي ينبع من صيغتها (أسم أو فعل) وتتم معرفته من تتبع السياقات التي ترد فيها ، وكون الكلمة اسماً أو فعلاً يمثلُ جزءاً من معناها وكذلك اسنادها الى الضمائر وتثنيتها وجمعها وغير ذلك من الخصائص الصرفية يكشف عن المعنى الصرفي للكلمة ، اما معناها النحوي فيحدده بيان موقعها في الجملة وعلاقتها مع غيرها من الكلمات ، ففي جملة (ولدت المرأة) قامت بوظيفة الفعل وفي جملة (الولد كبير) وجملة (هذا ولد) قامت بوظيفة الأسم لكنها في الاولى (مبتدأ) وفي الثانية (خبر) .

ونفعل مثل هذا مع بقية اجزاء الجملة وعندما ننتهي من تحليل اجزائها الى مستوياتها اللغوية المختلفة (صوتية ، معجمية ، صرفية ، نحوية) نأتي الى الجانب الاجتماعي المتمثل بسياق الحال عند اصحاب هذه المدرسة وعند ملاحظة الظروف والملابسات التي تحيط بالجملة يمكن ان ندرك معناها الاجتماعي ، فجملة (الولد كبير) قد يراد بها الاخبار وقد يراد بها الزجر أو التحقير أو التعظيم .... الخ .

وبعد ان نراعي في تحليلنا اللغوي هذه الجوانب جميعها اللغوية ، والسياقية نتوصل الى المعنى الكلي للجملة . وهو معنى مركب يجمل كل مستوى من المستويات السابقة جزءاً منه فقط . [٤٩]

ب- نظرية السياق بين الثناء والانتقاد :

أنتجت رؤية (فيرث) للمعنى المبينة على (سياق الحالة) ردود فعل متباينة ، فمن اللسانيين من أيدها بقوة ، ومنهم من انتقدها . ويشير (جون لاينز) الى نظرية (فيرث) السياقية للمعنى لم تحظ ((بالشرح والتبسيط العملي الواقعي من أي شخص له اعتبار من خارج الدائرة المحدودة لأتباع (فيرث) . ويبدو انها استبعدت على اساس انها معقدة وغير مألوفة وغير مشجعة ، أو حتى مثيرة للخلافات حول تفسير مصطلح المعنى))[٥٠] . ويبدو ان المسألة مراعاة السياق من عدمها مسألة مثيرة للجدل بحد ذاتها ، فهناك لسانيون ((يستبعدون صراحة أو ضمناً السياق من الدراسة الدلالية ، والسبب الحقيقي لهذا الاستبعاد أن هناك مصاعب عملية ونظرية بالغة التعقيد في معالجة السياق بشكل مرضٍ))[٥١] ، وهناك من يعتقد بإمكان ((التعرف على معنى جملة ما بمفردها وبمعزل عن السياق ، وكذلك التعرف على غموضها وشذوذها . واننا كناطقين بلغة ما ، يجب ان نعرف معنى جملة ما قبل أن نستعملها في أي سياق ، وبهذا يكون المعنى مستقلاً عن السياق ويستطيع اللسانيون بل ويجب عليهم ان يدرسوه دون الاشارة للسياق))[٥٢] .

ويرى (بالمر) ان هذا النقاش يثير التساؤل : ((إذ بأي مفهوم يمكن القول إننا نعرف معنى الجملة بصورة مستقلة عن السياق ؟ ربما لأننا نستطيع أن نهيء جملة أخرى بمعنى مشابه أو تفسير لها . لكن لذلك لا يعني على الاطلاق اننا إذا حددنا جملتين وقلنا أنَّ لهما معنى واحداً فإننا سنكون قد حدنا كياناً مجرداً اسمه المعنى))[٥٣] .

ومن أسباب استبعاد بعض اللسانيين للسياق مسألة يرى (بالمر) إنها ((الأكثر منطقية للوهلة الأولى ، هي إن عالم الخبرة يشمل بالضرورة حصيلة المعرفة الانسانية . إن كان ذلك كذلك ، وإن عرفنا علم الدلالة بموجب السياق ، فسيكون الحقل الدلالي لا متناهياً))[٥٤] . وهذا الانتقاد هو احد الانتقادات التي وجهت الى (فيرث) وكثيراً ما يكرره منتقدوا نظرية السياق حيث يتساءل هؤلاء : ((كيف يمكن تحديد ماله صلة بالسياق ، وخاصة الأمور المادية ذات الصلة المباشرة بالحدث اللغوي ؟))[٥٥] فمن المستحيل ((ان نرسم خطاً واضحاً بين معنى كلمة او جملة وبين كل المعلومات ذات العلاقة بها))[٥٦] . ويذكر (بالمر) ان هذه المسالة انتبه اليها (بلو مفليد) وجعلته يائساً من أي معالجة مرضية لعلم الدلالة))[٥٧] .

أما (جون لا ينز) فيقر هو الآخر بصعوبة تحديد مفهوم الموقف وإن تحديده يعد جزءاً جوهرياً من أي نظرية لغوية شاملة ويؤكد ((أنَّ بوناً شاسعاً يفصل بيننا وبين القدرة على الحصر الشامل المنظم لسياقات الحال))[٥٨] لكنه اعتقد أيضاً أن ((تحليل المواقف بصورة منهجية يمكن تطويره ودفعه الى الامام من قبل اللغويين))[٥٩] ثم عاد ليقول أنه : ((حتى يتم عمل هذا ، ربما

لن نكون في موقع يؤهلنا لتقدير الكفاية الكاملة لتوضيح الدلالة وشرحها في مصطلحات العلاقات المتبادلة في المواقف))[٦٠] .

وتؤكد الدكتورة (ديدري ولسون) استاذة علم الدلالة في (جامعة لندن الكلية الجامعية) صعوبة تحديد مفهوم الموقف ، وماله علاقة بالجملة من الأشياء المادية وما ليس له علاقة ذاكرة ((إن بإمكان المرء أن يعد قوائم عديدة لما يمكن ان يشكل الامور المادية لجملة من قبيل : انا أحاضر في هذه الغرفة الآن))[٦١] إذ ستشمل هذه القائمة أموراً مثل : ((هذه الغرفة التي تعد جزءاً من بناء قديم في الكلية الجامعية ، وهذه الغرفة المملوكة لجامعة لندن ، هذه الغرفة التي تقع في لندن ...الخ))[٦٢] ، ونظرية السياق كما هي عند (فيرث) بالذات ((لا تعنى بإعداد قوائم عند الظروف المادية ، فإعداد مثل هذه القوائم أمرٌ في غاية الصعوبة ، هذا علاوة على ان أية قائمة لن تكون متكاملة في الظروف الطبيعية))[٦٣] .

لهذا يعتقد (كاتزوفودر) أن النظرية اللغوية التي تبنى معالجتها المعنى على السياق يجب أن تمثل كل المعلومات المتوازنة في العالم لأن ((أي نوع من المعلومات غير اللغوية قد يستعمل لفهم معنى جملة ما))[٦٤].

ويذكر هذان العالمان اللغويان بعض الجمل لتوضيح هذه النقطة مثل : هل نعيد الصغار الى حديقة الحيوانات ؟ هل نعيد الحافلة الى حديقة الحيوانات ؟ هل نعيد الأسد الى حديقة الحيوانات ؟ وهذه الجمل لا يمكن فهمها من وجهة نظرهما في ضوء السياق إلا إذا عرفنا كل شيء عن الصغار والحافلات والأسود وهو ما لايمكن لأية نظرية لغوية أن تشمله بشكل صحيح))[٦٥] ، والحل البديل الذي يقدمانه هو توسيع الجمل لتشمل المعلومات التي يمكن أن تكون ذات علاقة ، فنضيف الى الجملة الاولى عبارة : لكي نرى الحيوانات الاخرى . وللثانية أم نسير ؟ وللثالثة : ام نضعه في قفصه ؟ وبابتداع هذه التوصيات يمكن معالجة أي نوع من المعنى المرتبط بهذه المعلومات [٦٦] ويشكك (بالمر) بجدوى هذه المحاولة لأن ((أي نوع من المعلومات يمكن ان يعتمد أساساً علاقة ترابطية ، وبالتالي سيتضمن الترابط والاشارة وكل المعرفة البشرية))[٦٧] ، وإعتقادنا بأن علم الدلالة يجب ان يقتصر على العلاقات الترابطية (داخل اللغة) يعني أننا سنتناول جزءاً فقط من المعنى .[٦٨]

ويبدو ان اصحاب نظرية السياق قد تجاوزوا هذه المسألة بفكرة (الاختيار) او الصلة المباشرة. ففي أي حدث لغوي لا بد ان ((تكون هناك عناصر معينة نستطيع ان نختارها على انها ذات صلة بموضوع الجملة)).[٦٩]

فلو تصورنا مشهداً يدخل فيه طالبٌ ((قاعة المحاضرة متاخراً عن موعد المحاضرة بعشرين دقيقة ولا يبادر أستاذه بالاعتذار بل يتجه مباشرة إلى مقعد فارغ فيجلس فيه . يقطع الاستاذ محاضرته ويقول له : (صباح الخير) بنغمة صاعدة – هابطة في النهاية ، مع مد المقطع الطويل في الخبر . إن الظروف المحيطة بهذه العبارة (وصول الطالب متأخراً) والتنغيم المستعمل ، تدل على إن الاستاذ يريد أن يلوم الطالب على التأخير وليس أن يلقي عليه تحية الصباح . اما بقية الامور المادية مثل شكل الطالب ونوع لباسه ، فلا علاقة لها بهذا الحدث اللغوي))[٧٠] .

واذا كانت الانتقادات السابقة عامة وتعني كل من يبني تحليله اللغوي على فكرة السياق فإن هناك انتقادات اخرى وجهت الى منهج (فيرث) بالذات منها :

أ- عدم تقديمه لنظرية شاملة للتركيب اللغوي ، والاكتفاء بتقديم نظرية ((للسيمانتيك) (علم الدلالة) .

ب- عدم تحديده لمصطلح السياق وغموض حديثه عن الموقف .

جـ- ملاءمة منهجه لبعض المواقف وعدم ملاءمته للغالبية العظمى من العمل التي نواجهها.

د- عدم عنايتها بالعلاقة بين الجمل التحويلية المتقاربة .

هـ- عدم عنايتها بالعلاقات الدلالية [٧١] :مثل الترادف والتضمن التحليلي [٧٢]

ولا تقلل هذه الانتقادات من أهمية نظرية (فيرث) ومكانتها بين المناهج اللغوية . فهي لا زالت تحمل كثيراً من الجوانب الايجابية في نظر كثير من اللسانيين مثل (اولمان) الذي يرى انها جعلت ((المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي))[٧٣] . و (جون لاينز) الذي يرى أن رؤية

(فيرث) في تشقيق المعنى ((لديها الكثير مما يمكن الثناء عليه وإنها بالتأكيد أكثر جاذبية من نظريات دلالية تصنع الدلالة ضمن مصطلحات الشؤون العامة او ضمن تعبيرات المشاريع أو الخطط))[٧٤] .

وانه على الرغم من سهولة نقده ووصف نظريته بالغموض يبدو واضحاً ((إن اللغة التي نستعملها في البيت مختلفة ، وهي مختلفة فعلاً عن اللغة التي نستعملها في العمل ، وانها لمختلفة ايضاً عن تلك التي نستعملها في الكنيسة ، او في ميدان اللعب ، وكذلك عند الكلام مع النساء او الاطفال أو الاشخاص الآخرين من هم أعلى منا أو أدنى اجتماعياً))[٧٥] . وكذلك يرى (بالمر) أن هذا النقد ليس عادلاً كلياً وأنه يتوجب ((علينا أن نمدح (فيرث) بدلاً من أن ننتقده لرفضه أن يضع تمييزاً ضمن مستوياته الوصفية بين المستوى الذي يختص باللغة والعالم والمستويات التي

تختص كلياً باللغة))[٧٦] . ويشارك (بالمر) جون لاينز الرأي بقوله : ((من السهل ان نسخر كما يفعل بعض الباحثين من النظريات السياقية وأن نستبعدها باعتبارها غير عملية أساساً . لكن من الصعب كيف نستبعدها دون انكار الحقيقة الواضحة القائلة أن معاني الكلمات والجمل مرتبطة بعالم الخبرة))[٧٧] .

فيما يخص عدم إنتاج (فيرث) لنموذج لغوي شامل يقول (بالمر) إن (فيرث) لم يؤمن إن مثل هذا النموذج ممكن حتى مبدئياً (على الرغم من أن كل اللسانيين تقريباً قد أفترضوا أنه ليس ممكناً فقط ، بل ضروري أيضاً) ولقد أعتقد فيرث أن كل ما على اللساني عمله هو أن يصدر بيانات جزئية عن المعنى قائلاً ما يستطيع قوله عن اللغة وحيثما يستطيع ذلك مجزءاً مقولاته في مواضع مختلفة كما يجزئ الكيك))[٧٨] .

وخلاصة رأي (بالمر) بهذا الشأن أنه من الانفع أن نقول القليل من أن لا نقول شيئاً ابداً . وان من محاسن مدخل (فيرث) أنه انطلق لأصدار بيانات جزئية فقط حول المعنى لانستطيع مطلقاً أن نلم بكل المعنى [٧٩] .

ورأي (بالمر) هذا فضلاً عن غيره من اللسانيين يؤكد أهمية (نظرية سياق الحال) وان بإمكان هذه النظرية أن تقدم الكثير في مجال دراسة المعنى ومعالجته ، وان عدم مجيء آراء (فيرث) بخصوصها في إطار نظرية لغوية شاملة كما يطمح اللسانيون ، لايقلل أبداً من الفوائد التي يمكن أن تعود بها هذه النظرية في مجال دراسة معاني الكلمات والجمل على حدٍ سواء .

وقد أكدت دراسات أخرى ذات رؤية خاصة ومنهج مختلف أهمية السياق في (تحليلها) اللغوي كالدراسات التداولية على سبيل المثال ، والدراسات الاخرى في اطار علم لغة النص .

جـ- السياق ودلالة الجملة في التراث العربي :

لم تكن فكرة السياق غريبة عن تراثنا العربي ومصنفاته اللغوية ، وقد أدرك أهميتها الدارسون على اختلاف أصنافهم ، النحويون منهم والبلاغيون ومن يعنى باللغة منهم في اطارها العام . واذا كانت فكرة (سياق الحال) قد نفذت الى الفكر اللغوي الغربي من نافذة العلوم الاخرى كـ(الانثروبولوجيا) والاجتماع . فإن اللغويين العرب أدركوا أهمية هذا الموضوع ومدى فائدته في الدراسة اللغوية من خلال النظر في اللغة وحدها . من قبل أن يكون هناك علم اسمه (الانثروبولوجيا) أو الاجتماع أو النفس . وليس غريباً أن تنهض الدراسات اللغوية الغربية على اختلاف نظرياتهاومدارسها الى مستوى المنهجية المرموقة بعد أن دارت عجلة الزمن على نحو متسارع وشهد العالم تطوراً ملحوظاً على جميع المستويات ، وفتحت العلوم الناشئة نوافذ جديدة يطل منها الدارسون على اللغة .

ولا يعنى هذا بالتأكيد أن نبخسَ النظريات اللسانية حقها أو أن نقلل من شأن ما جاءت به من مناهج ورؤى مختلفة ، فهي وفضلاً عما تتمتع به من مقومات المنهجية وما تسعى اليه من اقامة الدرس اللغوي على اسس علمية موضوعية . كان لها الفضل الكبير في تحويل انتباهنا الى التراث مرة اخرى لنعيد قراءته وأكتشاف مافيه من كنوز وآراء تستحق التقدير والاهتمام .

وحسبنا ان نقول هنا ان فكرة السياق التي عرفها العرب لم تشتهر في عالمنا العربي إنطلاقاً من تراثنا ومؤلفات دارسينا العرب وإنما ((اشتهرت في الاوساط الحديثة (بمفهومها الغربي) وانطلقت من الغرب))[٨٠] .

واذا عدنا الى تراثنا العربي مرة اخرى فيما يخص (سياق الحال) لا نجد فيه أي اشارة الى اعتراض أو رفض لمراعاة السياق في التحليل اللغوي ولا نجد أي خلاف بين اللغويين فيما يخص مراعاة السياق على نحو مما نجده عند اللغويين الغربيين المحدثين الذين تعددت آراؤهم في هذا الشأن ، فقد اعتمد العرب على السياق على نحو ملحوظ في كثيرٍ من المسائل التي تخص الجملة أو الكلمة وما يتعلق بإستعمالها ، وكثيراً ماربط العرب القدماء بين طريقة تأليف الجملة والسياق والملابسات التي ترد فيها وحاولوا الاستدلال على المحذوفات من خلال هذه القرائن والملابسات كما ربطوا طريقة تأليف الجمل وما تنطوي عليه من تقديم أو حذف أو استعمال لبعض العناصر اللغوية دون الاخرى بالأثر الذي تتركه على السامع والاغراض لتي يجب مراعاتها أو يراد تحقيقها.

ويمكننا أن نلمس ذلك واضحاً في أقدم المصنفات بدءاً بكتاب سيبويه مروراً بالمصنفات الاخرى في العصور اللاحقة . فلم يكتف سيبويه بالقول ان العرب تقدم من الجملة ما يكون ((بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم))[٨١] ، وانما اشار ايضاً الى اختلاف طريقة الخطاب باختلاف حال المخاطب – المشاركين بالحدث اللغوي بإصطلاح النظرية السياقية فالامر يختلف فيما إذا كان المخاطب مقبلاً عليك أو لم يكن كذلك . لذا نخاطب الاول بما لاتخاطب به الثاني .[٨٢]

ويذكر سيبويه أمثلة كثيرة جداً يبين فيها دلالة الجملة ويستدل على المحذوف منها من خلال القرائن والملابسات المادية ، من ذلك ما يذكره في (باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الامر والنهي) ويقول فيه : ((وذلك قولك إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج ، قاصداً في هيئة الحاج ، فقلت مكة ورب الكعبة . حيث زكنت انه يريد مكة ، كأنك قلت: يريد مكة والله))[٨٣] ، ويقول أيضاً : ((أو رأيت رجلاً يسدد سهماً قبل القرطاس فقلت : القرطاس والله ، أي يصيب القرطاس ، وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس قلت : القرطاس والله ، أي أصاب

القرطاس))[٨٤] ، وكذلك قوله : ((ولو رأيت ناساً ينظرون الهلال وانت منهم بعيد فكبروا لقلت : الهلال ورب الكعبة ، أي أبصروا الهلال ، او رأيت ضرباً فقلت على وجه التفاؤل : عبد الله ، أي يقع بعبد الله ، او بعبد الله يكون))[٨٥] .

ومما يذكره أيضاً قوله : ((ومنه أن ترى الرجل أو تخبر عنه انه قد أتى أمراً فعله فنقول : اكل هذا بخلاً ، أي أتفعل كل هذا بخلاً ، وإن شئت رفعته فلم تحمله على الفعل ، ولكنك تجعله مبتدأ))[٨٦] .

ويذكر سيبويه أحياناً جملة فيشرحها ويوضح دلالتها وما حذف منها ذاكراً الحال الذي شاهده والسياق الذي قيلت فيه ، ليتضح مقصده أكثر ، ولا يحتار فيه السامع كقوله : ((وسمعنا بعض العرب الموثوق به ، يقال له : كيف أصبحت ؟ فيقول : حمدُ الله وثناءٌ عليه ، كأنه يحمله على مضمرٍ في نيته هو المظهر ، كأنه يقول : أمري وشأني حمدُ الله وثناءٌ عليه ، ولو نصب لكان الذي في نفسه الفعل ، ولم يكن مبتدأ ليبنى عليه ولا ليكون مبنياً على شيء هو ما ظهر))[٨٧] .

فكل الجمل السابقة يتعرض لها سيبويه من دون أن يقتطعها من سياقها ، ويحرص على ذكر الملابسات والقرائن المحيطة بها لأدراكه تمام الادراك ما يقع من اشكال في فهم معناها وصعوبة التوصل الى ما أضمر فيها فيما لو ذكرت مجردةً من سياق الموقف الذي وردت فيه .

ويحرص سيبويه أيضاً على توضيح عادات العرب في الكلام وطريقتهم فيما يستعملون من جمل ، وكيف أعتادوا ان يحذفوا من كلامهم ما كثر دورانه على السنتهم حتى صار بمنزلة (المثل) من جهة علم السامع بالمحذوف وثقة المتكلم بمعرفة السامع به وإن لم يذكره . ويقول سيبويه : ((وذلك قولك (هذا ولا زعامتك) أي : ولا أتوهم زعامتك))[٨٨] ، ويذكر من ذلك أيضاً قول العرب : (كليهما وتمراً) ، فهذا مثل قد كثر في كلامهم واستعمل ، وترك ذكر الفعل لما كان قبل ذلك من الكلام ، كأنه قال : اعطني وتمراً))[٨٩] . ومما يذكره ((قولهم : (كل شيء ولا هذا) و (كل شيء ولا شتيمة حر) أي : إئتِ كل شيء ولا ترتكب شتيمة حر ، فحذف لكثرة استعمالهم إياه ، فأجري مجرى : ولا زعامتك))[٩٠] ويذكر في (باب ما ينتصب على إضمار الفعل المكتروك إظهاره في غير الامر والنهي) . قول العرب : ((أخذته بدرهم فصاعداً ، وأخذته بدرهم فزائداً . فحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه))[٩١] ،فكان المتكلم قد قال : ((اخذته بدرهم فزاد الثمن صاعداً ، أو فذهب صاعداً))[٩٢] .

وسيبويه في هذه الامثلة – واخرى غيرها – يحرص دائماً على ان يضع الجملة في سياقها ويوضح صلتها بما قيل قبلها من كلام ، ذاكراً ماله بها من قرائن مادية ذات صلة بالهيأة والشكل

والموقف لعام الذي قيلت فيه وطبيعة المشاركين وما ألفوه من استعمال وفي أحيان كثيرة يلجأ الى شرح جمل القران الكريم وتوضيح معناها وما أضمر فيها من خلال مقارنتها بما الفته العرب من استعمالات مماثلة وما اعتادته في هذا الشأن كما في استدلاله على اضمار الفعل في قوله تعالى : [مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا] البقرة ١٣٥ أي : بل نتبع ملة ابراهيم حنيفاً . وقوله تعالى : [انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ] النساء من الاية ١٧١ أي : يكن خيراً لكم . وغيرها من الايات القرانية الشريفة[٩٣] .

ومن لطيف الامثلة على مراعاة العرب للسياق ومدى ادراكهم لأهميته قول القاضي علي الجرجاني في بيت الاعشى :

اذا كان هادي الفتى في البلا دِ صدر القناة أطاع الاميرا [٩٤]

إن هذا البيت ((سليم النظم من التعقيد بعيد اللفظ عن الاستكراه . لا تشكل كل كلمة بانفرادها على أدنى العامة ، فإذا أردت الوقوف على مراد الشاعر فمن الحال عندي والممتع في رأيي أن تصل اليه . الا من شاهد الاعشى يقوله فإستدل بشاهد الحال وفحوى الخطاب ، فأما أهل زماننا فلا أجيز أن يعرفوه الا سماعاً إذا اقتصر بهم من الانشاد على هذا البيت المفرد . فإن تقدموه أو تأخروا عنه بأبيات لم أبعد أن يستدل ببعض الكلام على بعض . وإلا فمن يسمع بهذا البيت فيعلم انه يريد : ان الفتى إذا كبر فاحتاج الى لزوم العصا ، اطاع لمن يأمره وينهاه ، واستسلم لقائده ، وذهبت شرته))[٩٥] .

ويذكر القاضي الجرجاني أمثلة اخرى يبين فيها ما يمكن ان يفهم من الكلام من معنى مناقض تماماً لما اريد منه إذا نظر اليه في غير سياقه الذي قيل فيه كما في قول الشاعر :

فجنبت العوارَ أبا زينب وجاد على محلتك السحاب

اذ يظن من يسمع هذا البيت أنه ((دعاء له واستسقاء لارضه وإنما مراد الشاعر الدعاء عليه ان يهلك الله إبله فلا يملك منها مايعار عليه ، وأن تجود السحب على ارضه وهو مملق فيشتد اسفه على ماذهب من ماله إذا رأى الارض مخصبة ، وسائمة الحي راعية))[٩٦] .

ولأبن جني (ت ٣٩٢هـ) ملاحظات كثيرة تخص (سياق الحال) جذبت اهتمام المحدثين ، فقد حرص في مؤلفاته على بيان أهمية الحال المشاهده في التيقن من المعنى ، وكيف تغني مشاهدة الحال والموقف عن ذكر كثير من الكلام ، يتضح ذلك من معالجته لكثير من الجمل الواردة عن العرب في الشعر و النثر على حدٍ سواء ، ومحاولة ربطها دائماً بالسياق الذي وردت فيه والافادة من القرائن المحيطة بها ، يقول ابن جني : ((والذي يدل على انهم قد احسوا ما أحسسنا – أي العرب – وارادوا وقصدوا ما نسبنا اليهم إرادته وقصده سيئان : احدهما حاضر معنا

، والاخر غائب معنا ، إلا انه مع ادنى تاملٍ في حكم الحاضر معنا . فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها ، وتضطر الى معرفته من اغراضها : من استخفافها شيئاً أو استثقاله ، وتثقيله أو انكاره ، والانس به أو الاستيحاش منه والرضا ، او التعجب من قائله ، وغير ذلك من الاحوال الشاهدة بالمقصود بل الحالفة على مافي النفوس))[٩٧] ، ويوضح كلامه معلقاً على بيت الشاعر :

تقول – وصكت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعسُ

بقوله : ((فلو قال – يقصد الشاعر – حاكياً عنها – يقصد زوجة الشاعر – أبعلي هذا بالرحى المتقاعس – من غير ان يذكر صك الوجه – لأعلمنا بذلك إنها كانت متعجبة منكرة ، لكنه لما حكى الحال فقال : ((وصكت وجهها) علم بذلك قوة انكارها ، وتعاظم الصورة لها . هذا مع انك سامع لحكاية الحال ، غير مشاهد لها ، ولو شاهدتها لكنت بها اعرف ، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين))[٩٨] ، ويرى الدكتور عبد الكريم مجاهد أن ما استشهد به ابو الفتح بن جني يتضمن أمرين :

اولهما : الحدث الكلامي بقولها : أبعلي هذا بالرحى المتقاعسُ .

ثانيهما : الحدث غير الكلامي ويمثله قول الشاعر : وصكت وجهها بيمينها .

ويرى في قول ابن جني ((علم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها ...)) ، ما عبر عنه (فيرث) بأثر الحدث الكلامي وغير الكلامي[٩٩]

ويقول ابن جني في تعليقه على شاهد آخر هو : قلنا لها قفي لنا قالت قافِ .

((لو نقل الينا الشاعر شيئاً آخر من جمله الحال فقال مع قوله : (قالت قافِ) : (وامسكت بزمام بعيرها ، أو (عاجلته علينا) لكان أبين لما كانوا عليه وادل على انها ارادت : وقفتُ أو توقفتُ ، دون أن يظن أنها أرادت : قفي لنا ! أي يقول لي : قفي لنا ! متعجبة منه . وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم ان قولها (قافِ) إجابة له ، لاردٌ لقوله وتعجب منه في قوله : (قفي لنا)[١٠٠] .

ويوضح ابن جني أهمية المشاهده وملاحظة قسمات الوجه وملامح المشاركين في الخطاب ومالها من اثر في فهم المعنى الكامل للجملة أو الخطاب فيقول : ((اولا تعلم ان الانسان إذا عناه امر فأراد ان يخاطب به صاحبه ، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه ، فيقول له : يافلان ، اين أنت ، أرني وجهك : اقبل عليَّ احدثك ، اما انت حاضر ياهذا . فإذا أقبل عليه واصغى اليه ، اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه ، أو نحو ذلك . فلو كان استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين ، مجزئاً عنه لما تكلف صاحبه الأقبال عليه ، والاصغاء اليه))[١٠١]

ويقصد ابن جني كلامه بالمعنى الطريف الذي تضمنه بيت الشاعر :

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من العداوةى أو ودٍ إذا كانا

وقول الهذلي

رفوني وقالوا : ياخويلد لا تدع فقلت وأنكرت الوجوه هُم هُم

قائلاً بعد ذلك ((أفلا ترى اعتباره بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلاً على مافي النفوس .

وعلى ذلك قالوا : رب اشارة ابلغ من عبارة))[١٠٢] ، ومن طريف ما يذكره ابن جني في هذا الشأن أيضاً ماقاله له بعض مشايخه : ((أنا لا أحسن أن أكلم إنساناً في الظلمة))[١٠٣] .

وليس أبلغ من قول ابن جني بعد ذلك : ((فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو ، وابن أبي اسحاق، ويونس ، وعيسى بن عمر، والخليل ، وسيبويه ، وابو الحسن ، وابو زيد ، وخلف الأحمر ، والاصمعي ، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين ، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من اغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور مالا تؤديه الحكايات ، ولا تضبطه الروايات ، فتضطر الى قصود العرب ، وغوامض ما في انفسها ، حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة ، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه ، غير متهم الرأي والنحيزة والعقل))[١٠٤] وكأن ابن جني يريد أن يقول إن غياب الحال المشاهدة وعدم رؤية المتكلمين ومعرفة القرائن التي تلف ما نقل من جملهم وكلامهم كانت سبباً في اختلاف اللغويين وانقسامهم فيما بينهم الى مجيزٍ ومانع ورادٍ ومردود عليه . ولو شفع كل واحدٍ منهم كلامه بما أحاط به من قرائن وملابسات ، لدفع كثيراً من الخلاف وتعدد وجوه النظر ولكان في ماذكروه الخبر القاطع الذي لا يقبل الشك ، ولا يحتاج فيه الى تقليب النظر والاجتهاد .

وقد كان ابن جني أيضاً يستدل على ماحذف من الجملة من خلال النظر في سياقها الذي قيلت فيه ، وما أكتنفها من حال وما قيل قبلها من كلام . كما في حديثه عن حذف المبتدأ أو الخبر من الجملة ، يقول : ((وأعلم إن المبتدأ قد يحذف تارة ويحذف الخبر تارة أخرى ، وذلك إذا كان في الكلام دليل على المحذوف ، فإذا قال لك القائل : من عندك ؟ قلت : زيد ، أي عندي زيد . فحذفت عندي وهو الخبر وإذا قال لك كيف انت ؟ قلت : صالح . أي أنا صالح . فحذفت أنا وهو المبتدأ))[١٠٥] . ويحاول ابن جني أن يفيد من تشابه السياقات والمواقف والمماثل و المشابه من كلام العرب من اجل بيان المحذوف ، كقوله تعالى في الآية الشريفة : [طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ] محمد ٢١ ، إن المقصود : أمرنا طاعةٌ. على حذف الخبر لأن العرب تفعل ذلك إذا عرف

المقصود ودل عليه دليل من حال أو مقام ولأنها قد تظهر هذا المحذوف في بعض السياقات المماثلة / كما أظهره عمر بن أبي ربيعة بقوله :

فقالت على اسم الله أمرك طاعة وإن كنت قد كلفت مالم أعودِ[١٠٦]

ومثل هذا جملة (القرطاس) التي ذكرها سيبويه ويذكرها ابن جني أيضاً في خصائصه مدلاً على حذف الفعل منها منبهاً على تشابه المواقف – و كيف يكون ذلك لأن ((دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به))[١٠٧] ونحن نلجأ اليوم الى هذه الطريقة في الحذف في مناسبات ومواقف مشابهة ، منها على سبيل المثال نقول (فجأة) ونحن نتابع أحد المباريات الرياضية (الهدف) ونحن نقصد بالتأكيد (أصاب اللاعب الهدف) لكننا حذفنا ما حذفنا من كلامنا لان الموقف الذي نحن فيه وملابسات المشاهدة والمباراة تغني عن ذكره .

ويلجأ ابن جني أيضاً الى مثل هذه المقارنة عندما يذكر الجملة التي ذكرها صاحب الكتاب من قبل ، وهي قول العرب : (سير عليه ليلٌ) ذاكراً انهم يعنون بذلك (ليل طويل) مؤكداً ان حذف الصفة إنما كان ((لما دل من الحال على موضعها . وذلك انك تحس في كلام القائل لذلك من التطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته))[١٠٨] ، ويقارن ابن جني هذا بموقف آخر مشابه وهو ((أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه ، فتقول كان والله رجلاً ! فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ، أي : رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أونحو ذلك . وكذلك تقول : سألناه فوجدناه إنساناً ! وتمكن الصوت بانسان وتفخمه ، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : انساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك))[١٠٩] .

ومثل هذا نالفه اليوم ايضاً في الواقف المشابهة ويمكن أن نستدل عليه ايضاً بمثل موقف المباراة السابق ، إذ كثيراً ما نردد القول بعد المباراة أدهشتنا وأثارت إنتباهنا وشدت اعصابنا : (كانت والله مباراة) بدون ان نذكر صفة ما ويفهم السامع القصد ويدرك ما فيه من معنى المبالغة التي لا تتحقق عند التصريح بما حذفناه ولم نذكره . ويمكننا بالتاكيد ان ناتي بأمثلة كثيرة من واقع حياتنا اليومية تشابه المواقف والسياقات التي ذكرها ابن جني في شواهده ، اذ يبدو انه كان حريصاً على اختيار أمثلة من واقع الاستعمال الفعلي لأبناء اللغة ولم يأتِ بجمل وامثلة مجردة منزوعة من سياقها .

هذه النظرة اللغوية الثاقبة من ابن جني أثارت دهشة المعاصرين وجعلتهم يقولون ان كلامه كان شاملاً لكل ملابسات الحدث الكلامي من شاهد الحال وأحوال المتكلمين والسامعين ، والأثر الذي يتركه الحدث الكلامي[١١٠] .وربما ذهب بعض المعاصرين مثل الدكتور عبد الكريم مجاهد

الى سبق ابن جني في بيان أهمية سياق الحال وتوجيه الحدث الكلامي (الجمل) وليس (فيرث) .

وأن يكن قد ذكر أيضاً أن آراء ابن جني قد جاءت كلها ((مبعثرة تفتقر الى لتنظيم في اطار شامل متكامل ، أي في شكل نظرية))[١١١] ، اما ملاحظات عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ) وآراؤه فيما يخص (سياق الحال) فلا تقل شأناً عن ابن جني ، وإن كان يتناول الموضوع مركزاً النظر على الجانب لبلاغي أكثر من غيره .

وقد عرض عبد القاهر أمثلة كثيرة للتقديم والحذف والتنكير والتعريف ، واستعمال الأفعال والأسماء مبيناً صلتها بالسياق وعلاقتها بالغرض الذي تقال من أجله ومدى مطابقتها لمقتضى الحال ومراعاتها له . وفي حديث عبد القاهر الجرجاني عن التقديم يرفض ان يكتفي بالقول : انه قدم للعناية ولأن ذكره أهم – كما فعل سيبويه – من غير ان يذكر من أين كانت تلك العناية ؟ وبم كان اهم ؟))[١١٢] ، ويحاول عبد القاهر ان يكون اكثر تفصيلاً ودقة من سابقيه ، من خلال الربط بين الجمل والاغراض الخاصة التي سبقت من أجلها . فهو لا يعتقد بوجود قانون ينظم تاليف الجمل على نمط معين دون غيره ، وليس هناك حد يحد الكلام فإنه يجيء على وجوه وانحاء مختلفة [١١٣] ، ويوضح عبد القاهر كلامه بقوله انه ((قد يكون من اغراض الناس في فعل ما ان يقع بانسان بعينه ، ولا يبالون من اوقعه ، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرجُ فيعبث ويفسد ويكثر به الاذى ، إنهم يريدون قتله ، ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم منه شيء . فإذا قتل وأراد مريد الأخبار بذلك ، فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول : (قتل الخارجيَّ زيدٌ) . ولا يقول : (قتل زيدٌ الخارجيَّ) لانه يعلم ان ليس للناس في ان يعلموا ان القاتل له (زيد) جدوى فائدة ، فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم . ويعلم من حالهم ان الذي هم متوقعون له ومتطلعون اليه يكون ، وقوع القتل بالخارجي المفسد ، وانهم كفوا شره وتخلصوا منه))[١١٤] ومن الواضح هنا ان عبد القاهر يأخذ بحسابه الحدث الكلامي والمشاركين والقرائن والملابسات والاثر الذي يتركه الكلام ويخلفه في نفوس السامعين . وهذا ما دأب عليه في تعامله مع الجمل المختلفة كما في حديثه عن حذف المفعول به من الجملة وقوله : (٠ إن اغراض الناس تختلف في ذكر الافعال المتعدية ، فهم يذكرونها تارةً ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعنى التي اشتقت منها للفاعلين ، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين ، فإذا كان الأمر كذلك . كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلاً في أنك لا ترى له مفعولاً لا لفظاً ولا تقديراً))[١١٥] .

هذا التحليل المبني على مقاصد المتكلمين ومراعاة مقتضى الحال يمثل له عبد القاهر بقول الناس : ((فلان يحل ويعقد ، ويأمر وينهي ، ويضرُ وينفع)) [١١٦] . وبقولهم : ((هو

يعطي ويجزلُ ، ويقري ويضيف))[١١٧] والمقصود في جميع ذلك عنده ((إثبات المعنى في نفسه للشيء على الاطلاق وعلى الجملة ، من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كانك قلت: صار اليه لحل والعقد ، وصار بحيث يكون منه حل وعقدٌ وأمرٌ نهي ، وضرٌ ونفعٌ ، وعلى هذا القياس))[١١٨] ، وجعل من هذا القبيل قوله تعالى : [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] الزمر ٩ ، أي هل يستوي من له علم ومن لا علم له . وكذلك قوله تعالى : [هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ] غافر ٦٨ ، وقوله تعالى : [وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ~ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا] النجم ٤٣، ٤٤ ، وقوله تعالى : [وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى] النجم ٤٨ . فالمعنى المراد ((هو الذي منه الاحياء والاماته والاغناء والاقناء، وهكذا كل موضع كان القصد فيه ان تثبت المعنى في نفسه فعلاً للشيء وأن تخبر بإن شأنه ان يكون منه أو لا يكون إلا منه ، أولا يكون منه ، فإن الفعل لا يعدى هناك ، لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى)) [١١٩] ، وهنا نضع حطاً تحت قول عبد القاهر : (وهكذا كل موضع كان القصد فيه ...الخ) ، وتحت قوله : (إن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى) . ولا يفوت عبد القاهر ان ينبه على تشابه المواقف وما يكتنفها من تشابه الاستعمال على نحو مما فعله ابن جني كما في حديثه عن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ مثل : (القطع والاستئناف) فالعرب مثلاً : ((يبدأون بذكر الرجل ، ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الاول ، ويستانفون كلاماً آخر ، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الامر بخبرٍ من غير مبتدأ))[١٢٠] .

ومن لطيف امثلة عبد القاهر قول جميل :

((وهل بثينة يالناس قاضيتي ديني ؟ وفاعلةٌ خيراً فأجزيها ؟
ترنو بعيني مهاةٍ أقصدت بهما قلبي عشية ترميني وأرميها
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرةٌ ريّا العظام بلا عيبٍ يرى فيها
من الاوانس مكسالٌ مبتلة خوّ غذاها بلين العيش غاذيها

أي : هي هيفاء مقبلة ، وهي عجزاء مدبرةٌ ، وحذف المبتدأ لأنه أستأنف كلاماً يخص من بدأ الحديث عنه هو (بثينة) ويعرف السامع من القرائن وربط هذه الجملة بما قيل قبلها المحذوف وإن لم يصرح به))[١٢١] .

ومن امثلته في حذف المبتدأ للقطع والاستئناف أيضاً البيت الذي أنشده صاحب الكتاب :

((اعتاد قلبكَ من ليلى عوائده وهاج أهواءك المكنونة الطللُ
ربعٌ قواءٌ أذاع المعصراتُ به وكلَ حيرانَ سارٍ ماؤه خَضِلُ

أي : ذاك ربعٌ قواء أو هو ربعٌ))[١٢٢]

ولأن ما حذف من الجملة كان مراعاة لمقتضيات الحال وملابسات المقام – أغراض الكلام – كما هو الشأن في تقديم بعض عناصر الجملة أو تفضيل بعض الصيغ في هذه الجملة او تلك على صيغ أخرى –يرى عبد القاهر انه ((مامن اسم أو فعلٍ نجده ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال ينبغي ان يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره ، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به))[١٢٣] .

وإذا اردنا ان نلتمس شواهد أخرى عند لغويين آخرين فبإمكاننا أن نجد الكثير عند الجاحظ وابن يعيش وابن هشام وغيرهم [١٢٤] ومما يؤسف له أن العرب لم يقدموا سياق الحال على شكل نظرية واضحة المعالم لها أسسها وآلياتها على نحو مما فعله الغربيون . ولا يعني هذا القول التقليل من شأنهم البتة فلدراستهم فضل السبق الزمني الكبير ، وهي ايضاً تبين مدى المام العرب بأهمية (سياق الحال) وما يحمله من قرائن وملابسات أدرك العرب أهميتها الكبيرة وأثرها في التحليل اللغوي ، وتعاملهم مع الجمل العربية المختلفة بمقتضاها وسعيهم الى معرفة القرائن والملابسات التي تكتنفها ينم عن دراية واسعة ونظرة لغوية عميقة .

وما ذكره العرب القدماء في هذا الشأن يمثل دراسة سياقية ، عامة ، فقد تناولوا السياق في جانبه العام متمثلاً بما له من أثر على صياغة الجمل وفهم دلالاتها وأدراك معانيها الدقيقة . ولم يفصل العرب القول في طبيعة الملابسات المادية او يحاولوا تحديدها وتفصيلها بدقة ذاكرين ماله صلة بالحدث اللغوي وما ليس له صلة – وإن كان يبدو واضحاً من توجيهاتهم السابقة إنهم يعنون بما له صلة مباشرة بالحدث اللغوي – ولم يضعوا خطوات محددة لدراسة الجملة وفهمها في ضوء سياق الحال وملابساته . ولو فعلوا ذلك لربما كان امامنا اليوم خلاف كبير وجدل لغوي واسع في هذا الشأن تحفل به مصنفاتهم على نحو مما وجدناه فيما أفاضوا فيه من موضوعات لغوية أخرى وعلى الرغم من ادراك العرب لأهمية سياق الحال وملابساته بغض النظر عن المصطلح الذي استعملوه لذلك كـ(المقام) أو (مقتضى الحال) أو غيره فإن ذلك لم يجعل العرب يسيرون على هذا النمط دائماً . منطلقين مما يوصي به سياق الموقف ومما يوميء به الاستعمال الفعلي للغة . فإذا كانت التقديرات والتاويلات التي تضمنتها الامثلة السابقة التي انتقيناها من دراسات اللغويين تنسجم مع هذا المفهوم وتتماشى معه . فإن هناك تأويلات وتقديرات تعسفها العرب في الجملة من دون أن يشير اليها سياق موقف أو تدل عليها ملابسات[١٢٥] .

ومن أمثلة ذلك تقدير فعل محذوف بعد الشرط كما في قوله تعالى : [إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ] التكوير ١ ، وتقدير فعل محذوف للنداء تقديره أدعو وجميعها لا دليل عليه من سياق أو نحوه ،

بل يتعارض بعض هذه التقديرات والتأويلات مع ملابسات السياق وقرائنه على نحو واضح ، فتقدير فعل محذوف قبل النداء – على سبيل المثال – يؤدي الى إخراج الجملة من حيز الإنشاء الى الخبر وهو نقيض الوظيفة التي تؤديها هذه الجملة تماماً . وكذلك في قولنا في جملة التعجب مثل ما جاء في قوله تعالى : [أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ] مريم ٣٨، إن (اسمع) فعلٌ ماضٍ جاء بصيغة الأمر ، يخرج هذه الجملة من حيز الانشاء الى الخبر أيضاً ويخالف الوظيفة التي سيقت هذه الجملة من اجلها [١٢٦] . ناهيك عن ضعف الاساس الذي بنيت عليه الفكرة (مجيء الماضي بصيغة الأمر) وعدم وجود ما يسوغه من استعمال مماثل ، او قرائن محيطه فضلاً عن تناقضه مع السياق . فمن الواضح جداً أن نمط الجملة وصورتها يتماشى مع الغرض الذي تساق من اجله والوظيفة التي تؤديها في الكلام ، واننا إذا أردنا أن نخبر عن شيء وقع في الماضي سنلجأ الى جملة فعلية فعلها ماضٍ ، وإذا اردنا ان نخبر عن حدث يقع الآن سنلجأ الى جملة فعلية فعلها مضارع . وإذا اردنا ان نطلب من شخص القيام بفعل ما سنلجأ الى جملة فعلية فعلها أمر . واذا أردنا ان ننادي شخصاً بعيداً؟ أو نجذب انتباهه للحديث سنأتي بحرف نداء واسم ، وإذا اردنا ان نعبر عن دهشتنا من موقف ما وإبداء عجبنا واستغرابنا منه سنأتي بجملة تعجبية وهكذا إذا اردنا مدح شخص أو ذمة أو الاستفهام عن قضية ما .. الخ سنحرص دائماً على ان نأتي بالجملة التي تلائم الغرض وتناسب المقام . ((لأن كل تركيب يؤدي وظيفة مختلفة ويمكن المتكلم من تنظيم كل المعلومات طبقاً لظروف الكلام))[١٢٧] . وتكلفنا لتقدير محذوف ، وتعسفنا في تأويله من غير ان يدل عليه أو تشير اليه قرائن يتناقض مع اسس اللسانيات ويتقاطع معها مما يعني غياب الموضوعية وضياع صفة العلمية ، ومن جهةٍ اخرى يوقعنا في تناقض كبير مع متطلبات السياق وملابساته والوظيفة التي تؤدها الجملة .

ومن هنا نجد وجهاً للدعوات التي نادت بتصحيح بعض مسائل النحو واعادة النظر في هذه التأويلات والتقديرات لأن كثيراً منها لا داعي له ولا يحتاج اليه الكلام على نحو مما فعله ابن مضاء [١٢٨] ، لأنها تعي بوضوح حقيقة (اللغة) وما يجب ان يكون عليه التعامل معها من خلال النظر في حقيقة الاستعمال وواقع اللغة الفعلي وهو بالتأكيد ما تحرص عليه اليوم الدراسات اللسانية .

د- (سياق الحال) ودراسة العرب المعاصرين للجملة :

من أبرز ما تحفل به ساحة الدراسات اللغوية العربية المعاصرة اليوم هو محاولة الافادة من ثمار الدراسات اللسانية المختلفة ومن ضمنها (السياقية) في دراسة اللغة العربية ، وقد حاول

أكثر من باحث عربي معاصر تطبيق هذه المناهج في دراسته للغة العربية ، وجهد آخرون في المقارنة بين هذه الدراسات وما في تراثنا العربي ، إلا ان بعض هذه الدراسات قد اتصفت بالدقة العالية والجدية الواضحة على نحوٍ لم تتوافر عليه الدراسات الاخرى إلا بصعوبة ، وكان الحافز المنهجي والموضوعي هو العنصر المحرك لهذه الدراسات ، التي في مقدمتها دراسات د. تمام حسان ولا سيما كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) ، فالأساس الذي انطلق منه د. حسان وبنى عليه آراءه ورؤيته الجديدة في دراسة العربية هو اساس لساني واضح بدءاً بتأكيده على ضرورة الانطلاق من الجملة في أي دراسة للغة العربية ، وألا تكون العناية بالجانب التوجيهي إلا طريقاً يتوصل من خلاله الى معنى الجملة . وانتهاءً برفضه أي نقد يوجه الى النحو العربي القديم مالم يبنَ على هذا الأساس . [١٢٩]

أما منهجه السياقي فهو أمر يتضح من بعض إشاراته الى (مالينوفسكي) [١٣٠]واعتماده على طروحات (فيرث) في تشقيق المعنى ، وتصريحه بأن الحاجة المنهجية تدعو ((الى تشقيق المعنى الى ثلاثة معانٍ فرعية أحدها المعنى الوظيفي وهو وظيفة الجزء التحليلي في النظام او في السياق على حدٍ سواء . والثاني المعنى المعجمي للكلمة وكلاهما متعدد ومحتمل خارج السياق وواحد فقط في السياق ، والثالث المعنى الاجتماعي أو معنى المقام وهو أشمل من سابقيه))[١٣١] وإصراره على ان هذا الاتجاه ((هو الاتجاه الصحيح والضروري في الكشف عن المعنى ، وهذه هي الاعتبارات التي ينبغي أن تراعى في تشقيق المعنى))[١٣٢] ومن هنا جاء تفريقه في دراسته معنى الجملة بين معنيين هما : معنى المقال ، ومعنى المقام ويتألف الأول (معنى المقال) من :

١- المعنى الوظيفي : الذي يتمثل بما يقدمه المستوى الصوتي والمستوى الصرفي ، والمستوى النحوي .

٢- المعنى المعجمي (الصرفي) المتمثل بمعاني الكلمات المعجمية المستعملة في الجملة .

أما معنى المقام : فيمثل بظروف أداء المقال وهي تشتمل على القرائن الحالية التي يسمى جميعها (المقام) [١٣٣] .

ويمثل هذا المعنى ((المحصلة النهائية للحدث اللغوي في الموقف المعين وهو هدف الاستعمال اللغوي بالنسبة للمتكلم ، والسامع في اغلب الاحيان كما انه هدف للباحث اللغوي أيضاً))[١٣٤] .

ولكي نصل الى المعنى الشامل علينا أن نستعمل الطرق (التحليلية) التي تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة من صوتٍ ، وصرف ، ونحو ، ومعنى معجمي ، ثم علينا ان لا نكتفي بذلك ونضيف اليه المعنى الاجتماعي الذي يمثله المقام بما فيه من قرائن وملابسات تحيط بالجملة [١٣٥] إذ يؤكد د. تمام حسان أن هذا العنصر الاجتماعي ضروري جداً لفهم المعنى الدلالي وهو

يأتي بأمثلة كثيرة لتوضيح هذه المسالة نذكر منها جملته : (اهلاً بالجميلة) التي شرح ما يمكن أن تتضمنه من دلالات مختلفة تماماً فيما لو قيلت في مواقف اجتماعية مختلفة ((فالذي يقول لفرسه عندما يراها ، (اهلاً بالجميلة) يختلف المقام معه عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته ، فمقام توجيه هذه العبارة للفرس هو مقام الترويض وربما صحب ذلك ربتٌ على كتفها او مسح على جبينها .

أما بالنسبة للزوجة فالمعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي ايضاً ، فقد تقال هذه العبارة في مقام الغزل أو في مقام التوبيخ أو التعيير بالدمامة))[١٣٦] ، لذا كان الوقوف ((عند المعنى المعجمي لكلمتي (أهلاً) و (الجميلة) وعلى المعنى الوظيفي لهما وللباء الرابطة بينهما لا يصل الى المعنى الدلالي ، ولايكون وصولنا الى هذا المعنى الدلالي إلا بالكشف عن المقام الذي قيل فيه النص))[١٣٧]

وجميع الجمل العربية التي يذكرها د. تمام حسن لا يكتفي في معالجته لها بمعنى المقال إنما يمعن النظر فيها من خلال النظر في المشاركين في الحدث اللغوي والاشياء ذات الصلة وما تتركه الجملة من أثر . [١٣٨]

وهو يرى ((إن تطبيق هذا المنهج في الكشف عن المعنى (ينبغي ان يصدق على النصوص المنطوقة ذات المقام الحاضر الحي ، كما ينبغي أن يصدق على النصوص المكتوبة ذات المقام المنقضي والذي يمكن ان يعاد بناؤه بالوصف التاريخي))[١٣٩] وبعكس ذلك سيكون الاكتفاء بمعنى المقال سبباً دائماً في قصور الفهم [١٤٠] .

ومن خلال السياق يجد د. تمام حسان مخرجاً مما وقع فيه القدماء من تناقض فهو ينص على ((إن نتائج النظر الى السياق تفرض عناصر جديدة على المكونات (التحليلية) ، هي حلول لما قد يكون بين النظام وبين السياق من تضارب ، أو هي بعبارة أخرى معالم سياقية أو ظواهر موقعية لا وجود لها إلا في السياق المنطوق وبسببه))[١٤١] ، ومن ملاحظات د. تمام حسن المهمة في هذا الشأن تنبيهه الى الفرق بين (سياق الحال) عند المحدثين و (المقام) عند العرب ، إذ يذكر انه ((يختلف بعض الاختلاف عن فهم الاولين الذين رأوه حالاً ثابتةً ، ثم جعلوا البلاغة مراعاة مقتضى الحال))[١٤٢] ، مما يعني ان سياق الحال عند المحدثين أوسع من (المقام) عند البلاغيين واللغويين العرب . ومنها ايضاً أشاراته الى ان عبارة النحاة العرب (الاعراب فرع المعنى) كان يمكن أن تكون ((واحدة من جوامع الكلم إذا فهمنا بالاعراب معنى (التحليل) لأن كل تحليل لا يكون إلا عند فهم المعنى الوظيفي لكل مبنى من مباني السياق . فيكون التحليل حينئذٍ على مستوى الصوتيات والصرف والنحو ، اما المعنى المعجمي فهو علاقة عرفية لا يصدق

عليها قولهم : الاعراب فرع المعنى))[١٤٣] . وليست دراسة د. تمام حسن هي الوحيدة في إطار نظرية السياق وإن كانت من أكثر هذه الدراسات شمولاً وتفصيلاً ، فمن قبله كانت هناك آراء مهمة ذكرها د. ابراهيم أنيس في بعض مؤلفاته [١٤٤] ومن بعده د. محمد حماسه عبد اللطيف [١٤٥] ، ومحمد محمد يونس [١٤٦] وآخرون غيرهم مثل د. محمد احمد حماد ، د. أحمد عيسى ، ود. أحمد محمد كشك [١٤٧] مع ملاحظة أن كثيراً ممن جاء بعد د. تمام حسان قد تأثر بدراسته ومنهجه بشكل أو بآخر.[١٤٨]

والمسائل السياقية التي يتعرض لها د. محمد حماسة في كتابه (النحو والدلالة) كثيرة وان كان جهده بالاساس ينصب على محاولة معالجة مشكلات الدلالة والتركيب في اطار اللغة العربية . فهو يتحدث مثلاً عن اهمية معرفة السياق الذي تستعمل فيه الجمل ، وكيف ان تعلم قواعد لغة ما ومفرداتها لا يعني القدرة على تأليف جمل صحيحة ، كما هو الحال عند تعلم لغة اجنبية ما ، فإذا لم يكن المتعلم ((مزوداً بقواعد اختيار هذه الكلمات التي تخصص لسياق الجملة المناسب ، فسوف يكون عرضه لأن يكون جملاً صحيحة نحوياً ولكنها لا تؤدي معنى ، أو تحتوي على كلمات مستعملة بمعنى خاطيء في إطار نحوي خاص))[١٤٩] ، ويتحدث د. حماسة عن المحاور الأربعة التي ترتكز عليها الجملة لكي تعد صحيحة نحوياً ودلالياً وهي : الوظائف النحوية ، والمفردات المعجمية التي يتم اختيارها ، والعلاقات الدلالية بين الوظائف النحوية والمفردات ، والسياق الخاص الذي ترد فيه الجملة سواء أكان سياقاً لغوياً أم غير لغوي[١٥٠] ويذكر أيضاً ((أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها ، إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة ، تختلف بإختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها))[١٥١] فجملة مثل (سأجيء الخميس القادم) سيكون لها معنىً مختلفاً في كل ((إستعمال جديد حسب المتكلم وحسب التاريخ الذي قيلت فيه . فإذا قال محمد هذه الجملة يوم ١٩ أغسطس ، وقالتها فاطمة ٦ سبتمبر فإن هذه الجملة ذات المدلول الواحد تمثل نطقين مختلفين ، كل منهما له معنىً مختلفٌ))[١٥٢] . وجملة (ضرب محمدٌ علياً) بما فيها من بساطة تصلح أن تكون مثلاً موضوعاً من امثلة كتب النحو التعليمي ، لكنها . إذا نظر اليها على انها جملة واقعية – تختلف من قائل الى آخر ومن مستمع الى آخر ، ومن غرض الى آخر بإختلاف ما يعرف عن كل من (محمد) الفاعل و (علي) المفعول به ، في كل موقف ، وبإختلاف علاقة قائل هذه الجملة أو المستمع لها بكل من محمد أو علي ، وما يكون لكل منهما من تجارب سابقة مع كل من محمد أو علي ، وبإختلاف الصفات الجسمية ، والشخصية ، والعقلية ، والخلقية لكل منهما ، وما يعتقده المتكلم او المستمع في كل منهما))[١٥٣] ، ويأتي د. حماسه أيضاً بأمثلة كثيرة ذكرها علماء

العربية قديماً مثل سيبويه وابن جني وعبد القاهر وغيرهم محاولاً ان يربط بين نظرة القدماء لهذه الجمل ورأيهم بما قيل فيها ونظرة علم اللغة الحديث لا سيما نظرية السياق . محاولاً أن يوازن بين النظريتين ، وان يقارب بينهما [١٥٤] والمسائل السياقية وآراء حماسة فيها كثيرة كما أسلفنا تشغل معظم صفحات كتاب (النحو والدلالة) .

أما د. محمد يونس فقد ميز بين دلالة الجملة في السياق ودلالتها خارج السياق عن طريق تفريقه بين مصطلحين – كما تقدم في المبحث السابق – هما الجملة والقوله ، والجملة هي كيانات مجردة معزولة عن السياق ليست مقيدة بزمان أو مكان معينين ، ومن هنا تكون دلالتها دلالة عامة ، أما القوله فهي مقيدة بسياق معين ، ومعناها هو نتاج لمعنى الجملة والسياق معاً . وبهذا تكون دلالتها دلالة خاصة . [١٥٥]

يستعير د. محمد يونس مثال (سوسير) في التفريق بين اللغة والكلام لتوضيح هذه المسألة فيقول : ((ويمكن توضيح الفرق بين الجملة والقوله باللجوء الى تفريق (دي سوسير) بين اللغة والكلام ، فبينما تنتمي الجملة الى اللغة تنتمي القوله الى الكلام ، إذ إن القوله هي التركيب المفيد الذي ينطقه المتكلم بالفعل في سياق معين في زمن معين وفي مكان معين ، اما الجملة فهي ما ينشأ عن تجريد طائفة من القولات المتشابهة الى الحد الذي يسمح بالحكم بإنتمائها الى نمطٍ تركيبي واحد))[١٥٦] .

ويذكر ايضاً أن مقاصد المتكلمين ((لايمكن التوصل اليها إلا بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام ، ومعرفة المخاطِبْ والمخاطَبْ واعمال القدرات الاستنتاجية التي يمتلكها المخاطب عند التعامل مع الكلام))[١٥٧] .

ويمكننا ان نلاحظ ان ما يقرره د. يونس يشابه كثيراً ما قرره د. تمام حسان من قبل . كما إن تفريقه بين الجملة والقوله يعيد الى الذهن تفريق د. حسان بين معنى المقال ومعنى المقام ، ويكمن الفرق بينهما في إن د.يونس قد قدم آراءه حول الدلالة السياقية للجملة في إطار حديثه عن نظرية الاشارة ، مازجاً بينهما على نحو غريب كما بيناه في موضعه . فهو يقول : ((يؤدي مفهوم التعيين في إطار – نظرية الاشارة – مهمة العناية بسياق القوله ، وذلك أن كثيراً من التعبيرات الدالة على الاشخاص ، وعلى الازمنة والاماكن تحتاج الى تحديد فيتم تحديدها بالاشارة الى زمن حدوثها ومكان الحدث ، والاشخاص المعنيين بأمر ذلك الحدث ، من متكلم ومخاطب وغيرهما مما له علاقة بهذا الشأن))[١٥٨] .

إن هذا مبني طبعاً على فهمه الواسع لمصطلح (الاشارة) الذي يشمل عنده (المرجعية) ايضاً ، وعلى اعتقاده ان هذه النظرية تختص بدلالة المفردات دون الجمل – كما تقدم به البيان –

وبهذا تكون مفردات القوله مشيرةً الى موجود خارجي معين – من وجهة نظره – لأن دلالتها دلالة خاصة))[١٥٩] ، وهو ما يدل عليه بوضوح قوله : ((إننا عندما نتحدث فإننا في الواقع ننقل اللغة الى الكلام ، والجملة الى قولة ، والمعنى الى قصد ، ودلالات الالفاظ الى إشارات))[١٦٠] وقوله أيضاً : ((لا يمكن لنا أن ندرك المقصود بكل هذه الاشارات والمراد من القوله ، إلا بإقحام العناصر الخارجة عن اللغة ، وهي المخاطِب والمخاطَب والسياق ، أي ربط الجملة بزمانٍ ومكانٍ ومخاطبين ومقام تخاطبي ، وتحديد ماتشير اليه التعبيرات اللغوية والاشارية.))[١٦١]

ومن هنا يرى د. يونس إن الفهم السليم لقولةٍ ما كالتي يتضمنها قوله تعالى : [غُلِبَتِ الرُّومُ ~ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ~ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ] الروم ٢-٤ إن هذا : ((يستلزم تحديد الفترة الزمنيه والمكان ، وكل الملابسات لتي تسهم في ايضاح المراد من الاية ، وكل الاحوال المحيطة بنزولها . وذلك لأن كلمة (الروم) أخذت دلالات مختلفة عبر التاريخ من حيث المكان الذي يعيش فيه الروم وحدود البلاد ونحو ذلك))[١٦٢] .

وبدون هذا التحديد وايضاح الملابسات لا يمكن فهم المقصود من (القولة) كما لو نظرنا الى قوله تعالى : [قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا] الانبياء ٦٣ بمعزل عن سياقه أي بوصفه (جملة) وعندئذ لن يفهم منها ((إلا ان شخصاً ما ينسب فعلاً الى شخص ما هو اكبر المحيطين به))[١٦٣] ، وسيتغير الحال فيما لو نظرنا للآية السابقة بوصفها (قوله) إذ ((سنضطر الى الرجوع الى السياق الذي قيلت فيه ، وسندرك بعدها ان المتكلم هو ابراهيم عليه السلام ، وانه يشير بكلمة (فعل) الى كسر الاصنام ، وان الضمير يشير الى عملية الكسر ، وإن (هم) في (كبيرهم) تشير الى الاصنام ، وان (هذا) تشير الى أكبر الاصنام الموجودة ، وإن القصد من كل هذه القوله تشكيك المخاطبين في أعتقادهم بألوهية تلك الاصنام ، وتوجيه انتباههم الى عجز كبير الاصنام عن القيام بمثل هذا العمل ، وعجز سائر الاصنام عن الدفاع عن نفسها عند تعرضها للكسر ،والاستخفاف بعقولهم التي تتمسك باعتقاد الوهية تلك الاصنام على الرغم من عجزها عن الدفاع عن نفسها ، او حتى الأخبار عمن كسرها))[١٦٤] .

لهذا يجب ان تكون نظرتنا للسياق بمفهومه الواسع : النص ، والسياق الخارجي الذي يشتمل على كل ملابسات القوله – كما يرى د. يونس – على انه محدد ومخصص غالباً[١٦٥]

ويبقى هذا المبدأ ساري المفعول عنده حتى لو اشتملت القوله على تعبيرات كلية كالتي في قوله تعالى : [وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى] آل عمران ٣٦ . فيما لو اعتبرنا (أل) في (الذكر) و (الانثى) للجنس . ((فإن هذه التعبيرات تعد من باب التعبيرات الخاصة لا العامة . فسيكون

التقدير حينئذٍ : وليس جنس الذكر الذي ينتمي اليه ما طلبته أمرأة عمران ، كجنس الانثى الذي ينتمي اليه ما وضعته في خدمة بيت المقدس))[١٦٦] . وما يبرر رأيه هذا هو النظر الى المسألة من جانبها ((فالذكر في هذه الحالة تعبيرٌ كلي ، لانه يندرج تحته افراد متعددة ، ومع ذلك فهو تعبير خاص لانه منظور اليه من جانب معين ، ومراعي فيه اعتبار خاص ، وهو إنتماء ما طلبته امراة عمران اليه ، ولولا ذلك لما كان هناك مناسبة للإعلام بإختلاف الذكر عن الانثى ، ونفي ان يكون احدهما كالآخر في هذه الآية))[١٦٧] .

وبهذه الامثلة يتضح كلا جانبي (القوله) عند د. يونس . الاول : الذي ((ينتمي الى اللغة العربية : وهو الذي يضمن ان المخاطبين يفهمون مايقوله المتكلم بوصفه منتمياً الى مجتمعهم اللغوي ويتحدث لغتهم ، ويتمثل هذا الجانب في تقيد المتكلم بقواعد اللغة والنماذج اللغوية المتعارف عليها في اللغة والمفردات المصطلح عليها))[١٦٨] .

والثاني الذي ((ينتمي الى الكلام : وهو تركيبه لقوله معينة على نحو يحكمه عادةً قصده الابلاغي ، واختياره لمفردات معجمية ونماذج قواعدية بعينها ، واستثمار السياق لبيان مقصده))[١٦٩] .

وهذا الذي يقرره د. يونس هنا يعيدنا أيضاً الى آراء د. تمام حسان وتفريقه بين معنى المقام ومعنى المقال وتبنيه لفكرة تشقيق المعنى منطلقاً من منهج (فيرث) ونظريته في (سياق الحال) ، وينطبق كذلك على ما ذكرناه من امثلة د. محمد حماسه من قبل . وكل هذه الامثلة تبين أهمية المنهج السياقي في دراسة دلالة الجملة العربية ومدى احتفاء الدارسين العرب به ، وادراكهم لأهميته وما يمكن أن يعود به من فوائد ويجود به من ثمار في رصد دلالاتها التعرف عليها في أطر منهجية واضحة تتسم بالموضوعية .

لقد كتب (فيرث) في عام ١٨٦٨م مقالته التي نص فيها على ان للكلمة معنىً مفرداً واحداً شريطة ان لا تكون لفظة من صنف المشترك اللفظي ، ذاكراً تعدد معانيها السياقية [١٧٠] وبعد ما جاء به (فيرث) واتباعه أصبح هذا المبدأ يطبق على الجملة ، وأصبح تعدد معانيها السياقية من أكثر ما يعنى به الدارسون العرب والباحثون في دلالة الجملة العربية .

إن كيفية استعمالنا للجملة وطريقة تأليفها وتركيبها تبقى محكومة دائماً بالسياق الاجتماعي الذي ترد فيه ، ويمكننا ان نلاحظ الفرق بين الجمل التي تستعمل في مواقف مختلفة مثل الخطاب العادي ، والتحية ، والوداع ، والاستقبال ، والالتزام ، والنصح ، والرجاء ، والترحم ...الخ ، ويمكننا ايضاً ان نلاحظ كيف يحرص المتكلم في سياق رسمي على إظهار كلامه تاماً كاملاً ، وكيف يتغير ذلك في مقام الالفة الشديدة والعلاقات الخاصة التي يكتفي بها المتكلم بإستعمال أشباه

الجمل ويكثر فيها الاكتفاء بالمفردات ، والاجتزاء بالايماءات .؟ وغير ذلك من الفوارق التي تختلف بإختلاف السياقات الاجتماعية [١٧١] . وإذا اخذنا بالاعتبار ما توفره اللغة العربية من إمكانات تعبيرية كثيرة بخيارات التقديم ، والتأخير ، والذكر ، والحذف ، والتعريف ، والتنكير ...الخ مما لا يوجد كثيرٌ منه في لغات أخرى . أدركنا كبر الحاجة الماسة الى دراسة (الجمل العربية في إطارها الاجتماعي واهمية ما يشتمل عليه من القرائن ، والملابسات وهي ما اصطلح عليه فيما تقدم (بسياق الحال) .

المبحث الثاني
نظرية الفضاء الذهني
دلالة الجملة في ضوء نظرية الفضاء الذهني

تكاد تكون هذه النظرية أحدث ما ظهر في حقل علم الدلالة الادراكي ، وضع اسسها (جيلس فوكنر) من جامعة كاليفورنيا في عام ١٩٩٤ ، وتبناها عدد من اللسانيين المعروفين مثل (تيرز وستكويل وماكسويل) [١٧٢]

وتتوافق هذه النظرية مع العوالم الممكنة في الفلسفة ، الفرق الرئيس بين الفضاء والعالم الممكن إن الفضاء لا يتضمن تمثيلاً أميناً للحقيقة ، بل نموذجاً ادراكياً مثالياً [١٧٣] ، يقول (غرادي) وزميله في التعريف بهذه النظرية إنَّ ((الفضاء بنية تمثيل جزئية مؤقتة يركبها المتحدثون عندما يفكرون أو يتحدثون عن حالة مدركة أو متخيلة في الماضي او الحاضر أو المستقبل ... إنه تركيبة قصيرة المدى تهيؤها البنى المعرفية الأعم والأكثر استقراراً منها))[١٧٤].

ويعني هذا ان ((كل ما يتصور (أي وجد كتصور ، أي كان له تمثيل ذهني) يعبر عنه في اللغة ، وتعبر عنه اللغة كما بني ، أي كما هو متصور في الذهن . ومن هنا فإن البنية الدلالية هي البنية التصورية او إنها إسقاط للبنية التصورية في مجال اللغة . وبهذا تكون المعاني تمثيل ذهني مستنبط تعبر عناصره عن البنية الذهنية))[١٧٥] ، ويمكن ان نزيد الكلام وضوحاً من خلال (مثال الحجر) : فلو كان هناك حجر في مجال رؤيتنا ، وكان بيننا وبينه كرة ، سنقول في وصف هذا الوضع (في اللغة العربية) : عن الكرة توجد امام الحجز. إلا أن لغة الحاوصا وهي من اللغات الافريقية تقول في وصف الوضع نفسه . ان الكرة تقع خلف الحجر . وهذا يعني ان البعد (أمام / خلف) ليس خاصية لاصقة بالحجر او الكرة وإنما هو بُعْدٌ يسقطه المتكلم عليها . وكيفية إسقاط هذا البعد تختلف من هذه الثقافة الى تلك [١٧٦] .

والجملتان :

١- توجد الكره امام الحجر (العربية)

٢- توجد الكره خلف الحجر (الحاوصا)

ليستا ترادفين وإن كانتا تصفان الوضع الخارجي نفسه ، فهما يختلفان معنىً وتصوراً . اذ تعكس كل جملة التقطيع الجزئي الذي يمتلكه متكلم العربية ومتكلم الحاوصا للفضاء بإعتباره جزءاً من العالم الذي نعيش فيه [١٧٧] وما يدل عليه هذا هو أن ((البشر يمتلكون طريقة لتقطيع العالم الخارجي والفضاء عبارة عن عالم خارجي تصفه / تؤوله العبارات الفضائية في اللغة . والبحث في هذه العبارات يمكننا من الوقوف على تمثلاتنا الداخلية لهذا العالم الخارجي ، كما يسعفنا في رصد بنية هذه التمثلات ، وفي رسم حدود قدرتها التعبيرية))[١٧٨] ، وان كانت الطريقة التي يجزيء بها

العالم ((مرتبطة سببياً بوسائلنا الادراكية والمعرفية والثقافية))[١٧٩] أي ان الواقع لا يتم تصوره بالكيفية نفسها . وبعبارة أخرى لا تعكس البنية الدلالية في لغة العالم الخارجي وإنما تعكس ما هو موجود في اذهان المتكلمين [١٨٠] ، وهذا بدوره يعني ان هناك عالمين : عالمٌ حقيقي وعالمٌ مُسقط . العالم الحقيقي هو الموجود الخارجي والعالم المسقط هو التنظيم الذي يقيمه الفرد للعالم الخارجي أو يسقطه عليه وهو مشتق من العالم الأول عبر الادراك والتنظيم الذي هو مسارات آلية غير واعية لا يمكنها ان تخرج الى مستوى المراقبة القصدية (أو الوعي) للعالم الخارجي إلا في حدود معينة وهذا العالم (المسقط) هو ماتنقله اللغة [١٨١] .

ويتحدث (فوكنر) عن البداية قائلاً :((في دراستي لمسائل تخص اللغة على مدى سنين طوال ، دهشت لأن أكتشف كم هي قليلة المعاني الفنية التي نكونها الموجودة بشكل ظاهر في صيغة اللغة نفسها . اعتقدت سابقاً ان اللغات اساساً انظمة ترميز للعلائق الدلالية ، وان الجمل ستحمل المعاني كاملة عندما ترتبط بالمواصفات التداولية الطبيعية . لأكتشاف ان هذا ليس ما تقوم به اللغة ، وليست هذه طريقة تركيبية المعاني الصحيح ان اللغة شأنها شأن وسائل التعبير الاخرى ، إطار نصي يعمل محفزاً فاعلاً لتوليد المعنى الذي يتكون خارج أي شيء تهيئُهُ ظاهر الصيغ النحوية والمفردية للغة . إنها ليست مسألة غموض انها طبيعة انظمة تفكيرنا))[١٨٢] .

ولايرى (فوكنر) في ذلك إنتقاصاً من النحو لأنه اذا كان ((لايهيء الوسيلة التي يتحرك المعنى بواسطتها فإنه أي النحو يرينا الطريق أنه يقود جهدنا الادراكي بإقتصاد رائع للتضمينات المخفية وبثقة عالية في تحريكنا عبر ممرات الادراك))[١٨٣] . وعن دور الفضاءات يقول (فوكنر) : ((الفضاءات تنظم الاجراءات التي تأخذ طريقها وراء الستارة عندما نفكر أو نتكلم . إنها تتكاثر في كشف الحوار وتتداخل فيما بينها بطرائق شائكة ، وتهيء بنية ذهنية مجردة لتغيير ارساء وجهة النظر والتركيز ، بالسماح لنا بتوجيه اهتمامنا في أي وقت الى بنى بسيطة جزئية محافظة في الوقت نفسه على شبكة دقيقة من الترابط في الذاكرة البعيدة المدى))[١٨٤] . ويذكر أيضاً : ((أننا لا نشعر بهذه الاجراءات إن ما نشعر به على درجة عالية هو الشكل اللغوي من جهة ، والمعنى من جهة أخرى . والتأثير سحري : حالما يكون لنا شكل يكون لنا معنى من دون الشعور بالادراك المتداخل . وبصورة استيطانية فإن خبرتنا في هذا المجال تشبه عملية الادراك ، اننا نرى الشيء لأنه هناك ، واننا نفهم جملة ما فوراً لأن لها ذلك المعنى هذه الكفاءة العالية غير المرئية في قابليتنا على تحديد معنى الجملة تبلور نظرياتنا التقليدية عن اللغة التي تدمج الشكل بالمعنى ، تماماً مثلما تدمج نظرياتنا الاعتيادية الوجود بالادراك))[١٨٥] .

ويطرح (فوكنر) المثال الاتي :

ظن ماكس ان الفائز تسلم ١٠٠ دولار .

ويقول : ((ربما تكون اوضح طريقة لفهم هذه الجملة أن نفترض انه كان هناك سباق وإن الجوائز قدوزعت ، وإن شخصاً واحداً قد ربح السباق وتسلم جائزة وإن ماكس الذي كان عارفاً بكل هذا اعتقد أن الجائزة كانت ١٠٠ دولار . غير أن الجملة بحد ذاتها لا تقول أياً من هذا . انها ترتب (سيناريو) معقولاً تجعله معلوماتنا الخلفية ممكناً . سنرى انها تلائم (سيناريوات) أخرى بعضها تكون أكثر ملاءمة في سياقات اخرى . والبعض الاخر غير معقول أبداً))[١٨٦] .

وبعد أن يتساءل (فوكنر) : ماذا بالضبط تخبرنا الجملة أذن ؟ يجيب : ((إن جزءاً مهماً مما يؤديه شكل اللغة يحفزنا لأن ننشيء فضاءات وعناصر وروابط فيما بينها . يهيء الشكل تضمينات اساسية عن العمليات الذهنية التي نحتاجها ويفسر عمق تحديده في الذهن تعددية (السيناريوات) التي يهيئها بكل نجاح))[١٨٧] ، ويرى : ((أن تحدياً مهماً للعلم الادراكي بشكل عام يكمن في سر اختيار بعض تجمعات الفضاء لا شعورياً في بعض الحالات دون غيرها ، وتركيز المرء على (سيناريوات) معينة ونماذج ربط معينة))[١٨٨] .

هذه النظرة التي يقدمها (فوكنر) هي نظرة جديدة تختلف عن النظرة القديمة التي مافتئت تقدم الادلة على ان الدلالة في اللغة ما هي إلا إحالة خاصة تحترم مباديء عامة تتحكم في السلوك البشري غير اللغوي ايضاً))[١٨٩] ، ويبين (فوكنر) ماهية الفضاءات ويشرحها بقوله : الفضاءات رزم ادراكية صغير تتكون عندما تفكر او نتكلم لأغراض الفهم والعمل والتعبير . انها مترابطة وبالأمكان تعديلها مع تغير مجرى التفكير أو الحوار))[١٩٠] . وبالعودة الى الجملة السابقة :

– ظن ماكس ان الفائز تسلم ١٠٠ دولار .

يذكر ان في المثال اعلاه ((هنالك فضاءات : الاول فضاء القاعدة .

أي الفضاء الاول ذو البنية الجزئية المماثلة لما قدم في تلك اللحظة من الحوار ، أو ما قد يقدم بحرية لأنه ممكن التحصيل تداولياً في تلك الحالة . الفضاء الثاني أقل درجة يحوي بنية جزئية موافقة لـ(مايظن ماكس) انها مبنية بالشكل (–تسلم ١٠٠ دولار) أي (جملة المفعول به) [١٩١] يستحضر هذا الشكل إطاراً عاماً < س تسلم ص > وقد نعرف عدداً هائلاً من الامثلة التي تقاس بموجب (تسلم نقوداً ، رسالة ، ضيوفاً) يسمى التعبير (ظن ماكس) باني فضاء لأنه يبني بوضوح الفضاء الثاني .

وتكون (ماكس) و(الفائز) عبارتين اسميتين تمكننا من الوصول الى العناصر في الفضائين))[١٩٢]

والكيفية التي يتم بها هذا التحديد هي كالاتي : العبارة الأسمية اسم أو وصف يلائم عنصراً سبق تثبيته في فضاء ما ، أو يقدم عنصراً جديداً في فضاءٍ ما . العنصر بدوره يمكن من الوصول الى عنصر اخر خلال ترابط إدراكي يسمى رابط . وتفهم العناصر على انها كيانات ذهنية من الدرجة العالية . انها نفسها قد تشير الى اشياء في العالم))[١٩٣] .

ويذكر أيضاً أن (ماكس) في المثال السابق : ظن ماكس ...الخ ((يهيء دخولاً لعنصر معين الى فضاء القاعدة (الذي قد يوافق شخصاً حقيقياً أو وهمياً اسمه ماكس) ويهيء الوصف (الفائز) دخولاً لعنصر يسمى (الدور) ويفترض أنه يعود الى اطار عام للفوز والى مثال أكثر تجريداً لذلك الاطار الملائم للسياق المعني (الفوز بسباق معين او قرعة او لعبة ...) يمكن للدور أن تكون له قيمة ويمكن لعنصر قيمة دائماً ان يدخل عنصراً آخر هو قيمة ذلك الدور))[١٩٤] لهذا يقول (فوكنر) إن بإمكاننا ان نقول : ((سيحصل الفائز على ١٠٠ دولار)) دون الاشارة الى أي شخص معين . وهذا تفسير الدور . او ان نقول : (الفائز أصلع) وتكون (اصلع) خاصية الشخص الذي صادف ان فاز وليس شرطاً لنيل الجائزة. وهذا تفسير القيمة . الادوار اذن ترتبط ادراكياً بقيمتها بوساطة رابط : الدور – القيمة)).[١٩٥]

ويشير أيضاً الى: ((أن فضاء القاعدة والفضاء الثانوي مترابطان . وقد تكون هناك بدائل لعناصر الفضائين . فإن قلنا مثلاً : (يعتقد ماكس أنه سيفوز) بقصد اشارة الضمير الى ماكس ، فإن فضاء القاعدة سيحوي أ (أي ماكس) وسيحوي الفضاء الثانوي (يظن ماكس ...) أ ١ بدلاً من أ))[١٩٦] ، وستكون العلاقة في الفضاء الثانوي ((المساوية لـ(أ١ يفوز بـ) علاقة متحققة ، في حين أن العلاقة ذاتها قد لا تتحقق بالضرورة في فضاء القاعدة ل أ (النظير لـ أ١)))[١٩٧]

ويوضح (فوكنر) البنية الناجمة بالشكل الاتي :

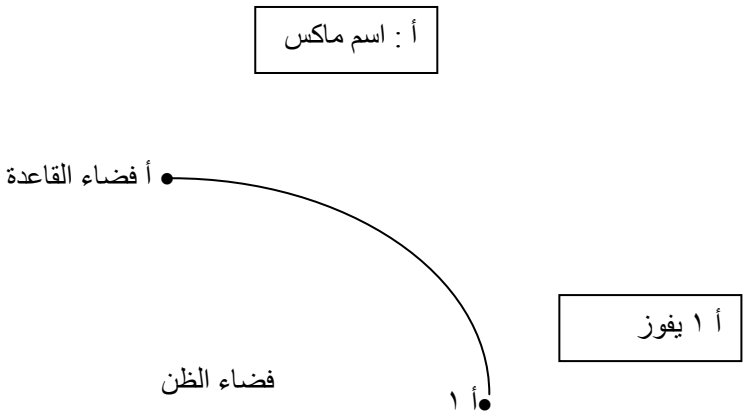

ويذكر إن مبدأ مهماً يعرف المجرى العام لأدخال العناصر (مبدأ الادخال) وينص هذا المبدأ على :

((اذا ترابط عنصران أو أ١ بوساطة ر (أ١ = ر (أ) ، فإن العنصر أ١ يمكن تعريفه بتسمية نظيره أ أو وصفه أو الاشارة اليه))[١٩٨] .

ويذكر ايضاً ان هذا المبدأ العام ينطبق ((في كل أنواع الروابط عبر الفضاءات وضمنها (الهوية ، والقياس ، والاستعاره ، والكتابة ، والدور – القيمة) ...))[١٩٩] .

ومن امثلته على هذه المسألة الجملة : (يظن ماكس ان هاري إسمه جو) فـ((العنصر ب المرتبط بأسم هاري سينشأ في القاعدة . وسيكون نظيره بَ في الفضاء الثانوي بمثابة < ب¯ اسمه جو > ويدخل ب¯ القاعدة بالارتباط بـ(هاري) . بعبارة أخرى ، على الرغم من أن هاري هو الاسم الصحيح في أحد الفضاء ين بالامكان استخدام هذا الاسم لأدخال النظير في فضاء ثان يكون فيه أسم آخر صحيحاً))[٢٠٠] .

ويطرح (فوكنر) مثلاً : ((جرى سباق بوستين الاسبوع الماضي . أعتقد ماكس إن الفائز تسلم ١٠٠ دولار ، لكن تبين أنه لم تكن هناك أية جوائز))[٢٠١] .

ويقول : ((يعتقد ماكس أنه كان هناك سباق وان شخصاً ماربح ، ولديه معلومات اضافية عن الشخص الذي يعتقد انه قد ربح . الفضاء الثانوي اذن ان < ب تسلم ١٠٠ دولار > قد يظن ماكس ان شيئاً ماقد حدث ، وهذا ما جعل الفائز يتسلم ١٠٠ دولار . إن ماكس يعتقد (ربما خطأ) إن الفائز قد تسلم ١٠٠ دولار مقابل بيع ساعته وقت الفوز في هذا المثال فضاءان : فضاء المتكلم وهو الاوسع وفضاء ماكس))[٢٠٢] .

ومن امثلة (فوكنر) : في تلك اللقطة الفتاة ذات الشعر الاسود شعرها اصفر فهذه الجملة صحيحة نحوياً ودلالياً لأن عبارة (في تلك اللقطة) بنت فضاءاً إفتراضياً وقسمت معنى الجملة

الى جزء ثابت (ذات الشعر الاسود) وجزءٌ مؤقت (شعرها أصفر) وبالتالي فإنها قد أزالت التناقض الدلالي الذي سيتولد بدونها . وبأمكاننا القول اذن ان للجملة فضاءين : فضاء حقيقي وفضاء (لفظي) بنته هذه العبارة [٢٠٣] ، وفي المثال المذكور : (يعتقد المدرب انني اطول مما أنا) تنفع كلمتا (يعتقد المدرب) في بناء فضاء افتراضي يقف موازياً للفضاء الحقيقي ويزيل التناقض الدلالي المتولد بدونها وهو : إنني أطول مما أنا [٢٠٤] وفضلاً عما سبق يذكر (فوكنر) أن تعبير الزمن قد يبني فضاءه الخاص به ومثال ذلك : في العام ٢٠٠٦ تسلم الفائز ١٠٠ دولار .

فعبارة (في عام ٢٠٠٦) تبني فضاءً ثانوياً وبإمكان لفظه (الفائز) ان تؤدي (دوراً) في هذا الفضاء وقد يشمل ذلك هذه الحالات :

– كان هناك نوع معين من الالعاب عام ٢٠٠٦ لم يعد يلعب الآن وربحت بفوزك فيه ١٠٠ دولار .

– هناك سباق (القفز العالي مثلاً) لا يزال يلعب اليوم (فضاء القاعدة) وكان قائماً عام ٢٠٠٦ (الفضاء الثانوي) في هذا العام تسلم الفائز أياً كان ١٠٠ دولار.

الفائز في مسابقة اليوم (مارك) في عام ٢٠٠٦ وفي ظرف مستقل (ببيع ساعته مثلاً) تسلم (مارك) ١٠٠ دولار .

– الفائز عام ٢٠٠٦ كان جون . تسلم جون في تلك السنة ١٠٠ دولار لبيع ساعته[٢٠٥]

وبهذا يتشابه ممر الزمن وممر الاعتقاد في بناء أكثر فضاء ، ولكي يفهم السامع الممر الفضائي الموجود في ذهن المتكلم يعمد المتكلم الى التوضيح :

– في عام ٢٠٠٦ تسلم الفائز ١٠٠دولار ، لكن هاري تسلم آنذاك ٥٠ دولاراً فقط لانه تشاجر مع الحكم .

يحدد هذا التوضيح مجال الفضاء الثانوي : قوانين اللعبة في ذلك الوقت ، كانت تعطي الفائز ١٠٠ دولار . وبقية الجملة تخص فرداً معيناً قد فاز ، هذا الشخص بالذات بـ٥٠ دولاراً [٢٠٦] على كل حال ، عندما تكون الجملة جزءاً من حوار ممتد ، فإنها ستغير شكل ما صيغة الفضاء الذي كونه الحوار قبل دخول الجملة فيه . الخطأ اذن دراسة معنى الجملة كما لو كانت كياناً مستقلاً . وبعبارة أخرى ليس للجملة معنى خاصاً بها ، إنها تغير واقع حال من صيغة الى اخرى [٢٠٧] .

وتتكون الفضاءات خلال الحوار الجاري اعتماداً على المعلومات اللغوية وغير اللغوية ، والتخطيط العام ان تستند الفضاءات الجديدة الى الفضاء القائم . يوضح ذلك (فوكنر) بالمخطط الآتي [٢٠٨] :

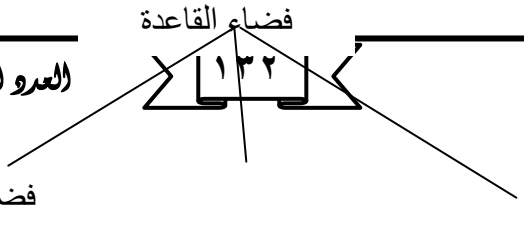

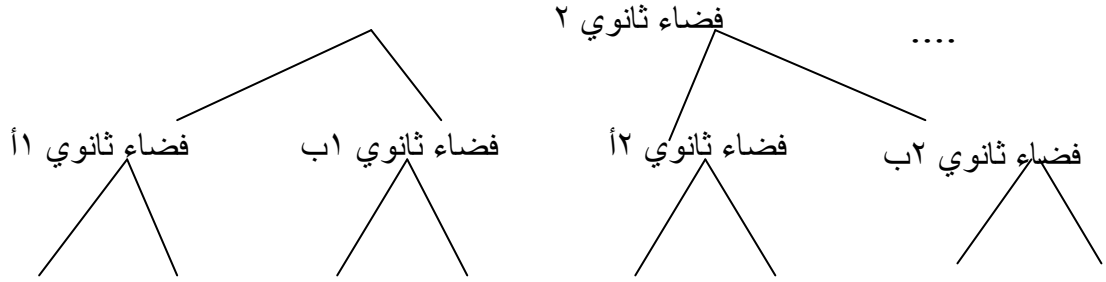

يبدأ الحوار عادة بفضاء قاعدة ثم يتفرع منه فضاءان ، الذي يتفرع منه الفضاءان ١١ أو ١ب وبالعودة الى القاعدة يمكن فتح الفضاء ٢ الذي يتفرع منه الفضاءان ٢ أ و ٢ ب وبالعودة ثانية الى فضاء القاعدة يمكن فتح فضاءات اخرى ... الخ وفي أية مرحلة معينة من الحوار فإن واحداً من هذه الفضاءات (ربما فضاء القاعدة نفسه) يكون نقطة التركيز . يتحرك الحوار عبر شبكة الفضاءات وتتغير وجهات النظر ونقاط التركيز عندما ينتقل الحوار من فضاء الى آخر ، لكن في كل موقف يبقى فضاء القاعدة جاهزاً ليكون نقطة انطلاق لتركيب آخر أو فضاء ثانوي جديد [٢٠٩] .

وإذا أخذنا بعض الامثلة من اللغة العربية كما في :

أ- في عام ١٩٩٠ ذهب خالد الى النجف .

ب- في عام ١٩٩٤ قرر خالد أن يذهب الى بابل .

جـ- في عام ٢٠٠٠ كان مفترضاً ان يذهب خالد الى بغداد .

سنجد ان العربية تعي التمييز بين الفضاء القاعدة والفضاء الثانوي . وذلك إن عبارة في عام...، تبني ثلاثة فضاءات متباينة . والعربية تضع الفضاء القاعدة في صيغة الماضي – عندما تكون هناك صيغ فعلية اخرى – كما في : (ذهب خالد الى النجف) .

وتضع الفضاءين الثانويين في صيغة المضارع . ويلاحظ ان الفضاء في (ب) موجب ، وفي (جـ) سالب .

والكلام هنا عن الجمل الفعلية كما هو واضح . ويلاحظ أيضاً ان الافعال العربية من قبيل : ظنّ ، خالٍ ، تصور ، اعتقد ، حسب ... الخ يصدق عليها وصف (باني فضاء ثانوي) [٢١٠] ، وكذلك الحال مع العبارات الزمنية من قبيل : (في هذا العام) ، و (اليوم) و (غداً) ... الخ وهذه العبارات ستلغي التناقض الذي يمكن أن يقع بدونها كما في :

يعتقد زيد أني أنا المدير وليس خالد .

وإذا امعنا النظر في جملة اسمية ولتكن :

انا اطول مما عليه في نظر المدرب .

في هذه الجملة سيكون (أنا) و (المدرب) جزءاً من الفضاء القاعدة لأنهما يمثلان ما يقال بحرية ولا يختلف فيه – إن صح التعبير – على خلاف (اطول مما انا) التي تعد جزءاً من الفضاء الثانوي الذي تبنيه العبارة (في نظر) .

وتبقى طريقة تركيب الجملة وبناؤها ومواقع الكلمات مرهونة بضوابط كل لغة وقواعدها الخاصة بها .

وعن الفضاءات والعموميات يقول (فوكنر) : ((لقد درست اللغة نتاجاً مستقلاً للعقل البشري ويقال إن هذا الاستقلال ينعكس على المستوى (البايولوجي) بصيغة بني (بايولوجية) عصبية وراثية الانتقال . وبالمقابل كشفت اللسانيات الادراكية ان من وراء خصوصيات اللغات دلائل لعمليات ذهنية عمومية من بينها ان الترابط بين الفضاءات الذهنية جزء من التنظيم العام للفكر . وعلى الرغم من اللغة تهيء البيانات الكافية لدراسة هذا الترابط ، فإنه ليس أصلاً عملية لغوية ، ولامسوغ للاعتقاد أنه يقتصر على الانسان [٢١١] .

أما بخصوص عملية الفضاءات فيذكر ((انها تتمثل فيما نسميه بالتكامل الادراكي الذي يتجسد في إقامة شبكة فضاءات تتداخل فيما بينها وتندمج في فضاءات جديدة بطرائق مختلفة إننا نستخدم في حياتنا اليومية شبكات التكامل الادراكي لتكوين المعاني بعض التكاملات جديدة وبعضها أكثر رسوخاً ، ونادراً ما نتنبه بشكل واعٍ لهذه العلمية لانها متواصلة . وتحتوي على شبكة تكامل رئيسة عادةً أربعة فضاءات . إثنان منهما يسميان فضائي (المدخل) يوصلهما تخطيط يعكس بنية مشتركة للمدخلين تتكون البنية في فضاءٍ ثالث يسمى الفضاء العام . ويظهر فضاء رابع يسمى الدمج بإسقاط إختياري من المدخلين . إنه يطور بنية طارئة بأشكال مختلفة و بإمكانه ان يعيد البنية الى بقية الشبكة))[٢١٢] .

وإنشاء فعاليات جديدة أمر ممكن – على سبيل المثال – بدمج فعالية معروفة بظروف جديدة . و المثال الذي يستعيره (كولسن ١٩٩٧) لتوضيح المسألة : اطفال قسم داخلي يبتدعون لعبة مبنية على لعبة كرة السلة إذ يتوجب عليك رمي قطع ورق مجعدة في سلة الفضلات . هذه اللعبة الجديدة عملية دمج أحد المدخلين معرفة جزئية بلعبة السلة . والمدخل الثاني حالة الاضطرار الى استخدام الورقة المجعدة وسلة المهملات ويربط التخطيط الذهني الجزئي (كرة) بالورقة المجعدة وحلقة لعبة السلة بسلة المهملات واللاعبين بالاطفال [٢١٣] .

ويتم في هذه اللعبة الجديدة إسقاط بعض خواص مدخل كرة السلة (احتساب النقاط عند دخول الكرة بالحلقة ووجود خصم وفوز وخسارة ...) واسقاط بعض خواص مدخل كرة السلة (واحتساب النقاط عند دخول الكرة بالحلقة ووجود خصم وفوز وخسارة ...) وإسقاط بعض خواص حالة الاضطرار (وجود السلة على الارض وليس عالياً في الفضاء ، وكون الكرة ورقة مجعدة ... الخ) ويتم اشتراك المدخلين بخواص اخرى (الرمي في مرمى ما) . وستظهر خواص أخرى كثيرة للعبة خلال الممارسة (طرائق معينة للرمي وتعاريف على تعليمات لتسجيل النقاط والاخطاء ... الخ) الفضاء العام المتعلق بالتخطيط الرابط للفضائين .

في هذه الحالة هو الموقف الاكثر دقة لرمي شيء ما في مرمى ما [٢١٤] ويرى (فوكنر) أن هذا المثال البسيط يوضح ((الخواص المركزية للتكامل وخصوصاً حقيقة انه خلاق (فعالية جديدة تختلف عن لعبة السلة ، وتختلف عن رمي الورقة بعيداً) ، وموصَّف (هنالك أكثر من طريقة للأسقاط من المدخلين وأكثر من بنية ناجمة))[٢١٥].

ويوضح ذلك بالشكل الاتي :

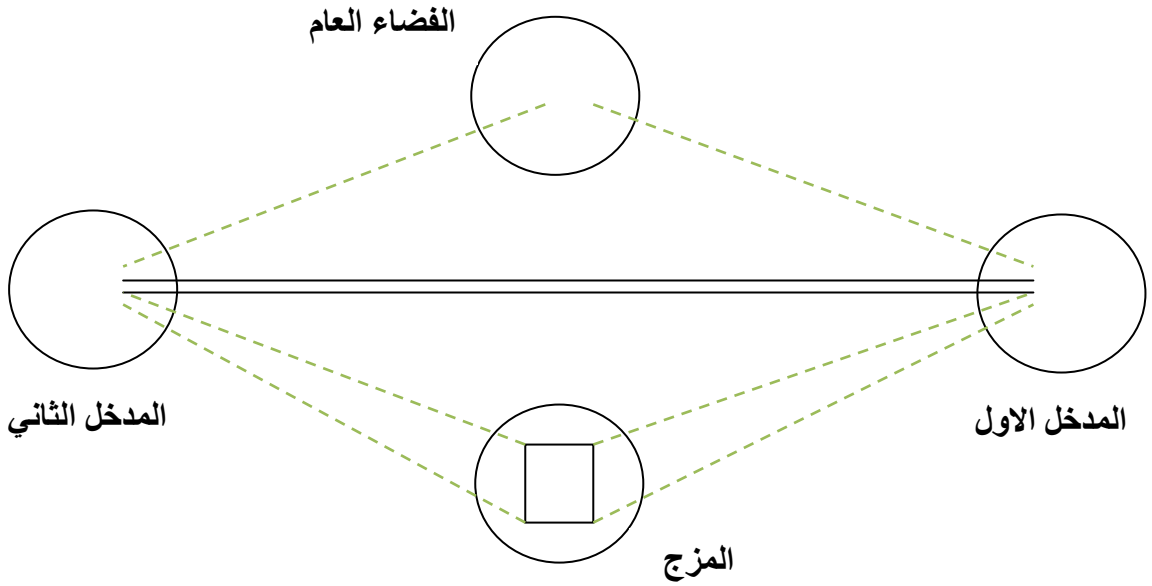

ويقصد به ان المدخل الاول بنية جزئية من لعبة السلة ، وان المدخل الثاني بنية جزئية للحالة الاضطرارية ، وان المدخل العام تخطيط لرمي شيء ما في مرمى ما ، وإن المزج اللعبة الناجمة [٢١٦].

ويوضح (فوكنر) أوجه الشبه بين هذا المثال والعمل الادراكي فيقول : ((إن العمل الادراكي على مثل هذه الشبكة يتألف من ترصيف الفضاءات المدخلية وبلورة فضاء عام متناسق واسقاط إختياري في الفضاء الممزوج الجديد ، وبناء الفضاء الممزوج عن طريق إكمال النموذج

وبلورته (بالمحاكاة الذهنية و الاعمال الفعلية) إن تكاملاً من هذا النوع يحدث في حالات حياتية كثيرة .

مثل التعامل مع الحاسوب أو مع المصرف الآلي ، كأن نوحد مدخلين معلومين سلفاً بمزجها سوية وتوليفها في فضاء متكامل يراعي مباديء المزج القويم [٢١٧] ويعتقد (فوكنر) ((إن تراكيب لغوية كثيرة تنجم عن المزج الادراكي وتعكسها بطرائق منتظمة))[٢١٨] وأكثر الحالات شفافية – ومن وجهة نظره – هو ((الاسم المركب التي يتألف في الانجليز من أسمين [٢١٩] يرتبطان بعنصر في كل من المدخلين))[٢٢٠] .

ومثل هذا يمكن أن ينطبق على مثال اللعبة التي ابتدعها الاطفال إذ ((يمكن تسمية لعبة الورقة المجعدة في القسم الداخلي بلعبة النفايات [٢٢١] . الاسم الاول اسم اللعبة في أحد المدخلين ، ويرتبط الأسم الثاني بعنصر بارز في المدخل الآخر . وبالتقاط عناصر أخرى يمكن تغيير الاسم الى (لعبة سلة القسم الداخلي) او (سلة رمي الورقة) أو (لعبة ورق النفايات) وهكذا . وفي كل هذه الحالات تتضمن التسمية المركبة درجة معينة من التوليف الادراكي وفي بعض الحالات يتقلص الاسم المركب الى مجرد توحيد للخصائص))[٢٢٢] .

ويمكن ان يمثل لذلك بتسمية سيارة طويلة ببخت أرضي لأننا ((سنجمع مدخلين (السفر براً والسفر بحراً) مع نظائر مثل واسطة نقل ؟ زورق ، وسائق / وربان زورق ، وطريق / بحر ، حيث يضفي هذا التجميع أو الدمج بعض صفات اليخت على نوع معين من السيارات))[٢٢٣] . وفضلاً عن الاسم المركب أو العبارة ((بإمكان النعت ان ينجز عملية تكامل ، ذلك لأن عبارة (قلم رصاص احمر) يمكن أن تعني أن خشب القلم مصبوغ بالاحمر من الخارج أو ان القلم يترك علامة حمراء (الرصاص أحمر أو المادة الكيمياوية للقلم تتفاعل مع الورقة لأنتاج اللون الاحمر ، أو ...) أو ان القلم يستعمل لتسجيل نشاط الفريق الذي يلبس الاحمر ، أو ان القلم ملطخ بأحمر الشفاه ، أو ان القلم يستعمل فقط لتسجيل عجز الميزانية))[٢٢٤] .

ويذكر (فوكنر) ان نظريات علم الدلالة تفصل ((عادة التعامل مع امثلة : مثل : طير أسود ، وبقرة سمراء ، لأنه يفترض بهذه الامثلة ان تكون نماذج لتوليف المعنى ، لكن الواقع ان حتى هذه الامثلة تمثل عمليات معقدة للتكامل الادراكي . ومن المنظور النفسي فإن النقطة الجوهرية هنا تماثل العملية الادراكية وتيسرها (خلال التكامل الادراكي) في اغلب الحالات))[٢٢٥] .

لقد حاولت هذه الصفحات ان تعطي فكرة عن الادراك التحتي الذي يعمل وراء التفوهات اليومية، غير انها لم تعطي الحوار والسرد حقهما . وقد بين (روبا) كيف تتكون الفضاءات المتعددة

بالاستناد الى معلومات لغوية متناثرة ، فكيف تعتمد في الوقت نفسه على نماذج إدراكية وحضارية تحتية [٢٢٦] كما بين الاثنان (منتز) و (ليدل) كيف تتكون الفضاءات المتعاقبة المترابطة في السرد القصير وكتب (فريمان) – عام ١٩٩٧ – بحثاً عن تكون وتكامل الفضاءات في السرد الادبي والشعر والبلاغة ، وبين (زبيكوسكي) – عام ١٩٩٧ – كيف تتكون وتتكامل الفضاءات في الموسيقى [٢٢٧] .

ويمكن ان نوجز ما طرحه (فوكنر) ببعض النقاط الجوهرية :

– تقوم اللغة بعمليات فهم وادراك خلف الكواليس . واللغة ليست تمثيلاً لمثل هذه العمليات ولا تمثيلاً للمعنى . إنها تعمل بوصفها مجموعة ملقنات او محفزات قوية وموجهة لقدح العملية الحيوية نفسها وما يصاحبها من تكوين للمعنى .

– إن الادراك الخلفي لما يتلق من اللسانيين العناية التي يستحقها لأنه غير واع عموماً وفورياً وغير مرئي بنيوياً .

– إن مجموعة مهمة من هذه العمليات (الخفية عن القدرة الواعية) تخص الفضاءات وما يرافقها من عمليات ذهنية [٢٢٨] وليس من شك في ان تكوينات الفضاء تخترق تفكيرنا واستعمالنا للغة وصيغ تعابيرنا . لهذا يتوجب ان تكون دراسة العمليات الادراكية العامة أرضاً خصبة لعلم النفس الادراكي .[٢٢٩]

وبهذا تعيد نظرية الفضاء الذهني النظر الى اهمية الاسس النفسية للغة ، وعلاقتها المباشرة بالاجابة عن السؤال ما المعنى . وتعطي وجاهة مرةً أخرى للقضايا التي بحثها جومسكي [٢٣٠] .

فهي تفترض ((ان الانسان يملك مستوى تنظيمياً يرتب بواسطته العالم الخارجي ، ومن خصائص هذا المستوى التنظيمي انه ذهني ، ويرتبط بصورة سببية بعملية الادراك وبحالات الجهاز العصبي ، وهذا المستوى الذي يتم تشغيله وتوظيفه من لدن الكائن البشري في كل حين يشكل مجالاً للمعلومات الموجودة في الذهن . وبعض هذه المعلومات الذهنية نجدها مرمزة في اللغة))[٢٣١] .

ولا تفتقر هذه النظرية الى القيدين اللذين يعدان ضروريين لأية نظرية تحاول ان تفسر كيف يعكس الشكل التركيبي في اللغة الطبيعية طبيعة الفكر وهما : القيد النحوي :

الذي ينص على وجوب ((تفضيل أي نظرية دلالية تفسر التعميمات الموجودة في كل من المعاجم والتركيب على اعتبار ان المعجم يعطينا (المحتوى) والتركيب يعطينا (الشكل) الصوري الملائم لهذا المحتوى . ومن الاشياء التي تحتم وجود هذا القيد مهمة من يكتسب اللغة اذ عليه ان يكتسب ذلك الربط بيم الشكل التركيبي والمعنى))[٢٣٢] والقيد المعرفي : الذي ينص على ((ان نظرية البنية الدلالية في اللغة الطبيعية هي في حد ذاتها نظرية لبنية الفكر))[٢٣٣] .

ان الجديد المثير للدهشة في نظرية (فوكنر) هو رفضه لما ذهبت اليه النظرية الدلالية التقليدية التي تعد الجملة حاملة المعنى .

جملة ← معنى

فهو يرى ان السابقين قد أخطؤوا بإهمال عنصر ثالث بين الجملة والمعنى هو (الذهن)

جملة ذهن ← معنى

وإن الجملة لا ترتبط بالمعنى بشكل مباشر ، وحقيقة المسألة أن هناك موقفاً في الذهن ودور الجملة أن تغير هذا الموقف الذي في الذهن من حالة الى اخرى .

وبهذا لايرتبط المعنى بالجملة بشكل مباشر وإنما يكون ارتباطه المباشر بالذهن .

وما يؤكده (فوكنر) من خلال أمثلته هو أن الصيغة اللغوية لا تحمل إلا القليل من المعنى فجملة : (اعتقد ماكس ان الفائز تسلم ١٠٠ دولار) تفترض أموراً كثيرة تحتم علينا الرجوع الى خلفيتنا الذهنية لنتمكن من فهمها [٢٣٤] مثل افتراض ان هناك مسابقة ، وإن الجوائز منحت ، وان ماكس يعرف كل ذلك ، وانه يعتقد إن الجائزة ١٠٠ دولار . واياً من هذه المعلومات لا تقدمه الجملة .

لذا يمكن ان تكون الجملة من وجهة نظره مؤهلة لحمل المعنى وإنما لتوجيهه وتهيئة (سيناريو) مناسب او (مسار) تسمح به خلفيتنا المعلوماتية[٢٣٥].

ومن المؤكد إن ما قرره (فوكنر) يستحق قدراً كبيراً من النقاش قبل أن يحكم له أو ضده إلا ان هناك مسألة أخرى تستحق الاشارة أيضاً . وهي إن الانطلاق من نظرية مبنية على اسس تصويرية [٢٣٦] ، لا تفتقد بالتاثير المباشر للعالم في اللغة تطرح تساؤلاً أيضاً حول مفهومين دلاليين عُنيَ بهما (علم الدلالة) ومباحثه منذ نشأته وهما : الصدق والإحالة . فبإستبعاد الارتباط المباشر بين العالم الحقيقي واللغة لن يُعَد مفهومي الصدق والإحالة محددين صالحين كي يكونا نقطة انطلاق لنظرية المعنى فما تحيل عليه اللغة – بناء على هذا الاساس – هو عالم مسقط

(ذهني) وليس العالم الخارجي [٢٣٧] ، وهذا بدوره يعطي وجاهة لما ذهب اليه

(فريغة) وهو أن كيفية الاحالة على المرجع هي التي تعطينا المعنى (لأن للمتكلم كيفية في الاحالة على المرجع بواسطة اللغة) وبذلك لن تكون الامالة مباشرة على ماهو موجود في العالم الخارجي . وإن كان منطلق (فريغة) منطلق (منطقي) لا يعبأ بالبعد النفسي في الدلالة [٢٣٨]

الخاتمة

في ختام هذا البحث لابد من الاشارة الى اننا قد تعرضنا فيه الى نظرية السياق وهي نظرية متأخرة ، ولم نعد للحديث عن الدلالة عند التوليد بين اذ اجلنا ذلك الى بحث قادم ان شاء الله سبحانه وتعالى . وقد استعضنا عن ذلك بنظرية الفضاء الذهني التي تعد أحدث ما أثير في علم

الدلالة ، ولهذه النظرية أهمية كبيرة لأنها نظرية مرتبطة بالجملة من الاساس دون غيرها من اقسام الكلام .

ولعل في عرض هاتين النظريتين المتفاوتتين زمنياً ما يعطي صوره واضحة لتطور هذا العلم بشكل عام ، ودراسة الجملة على نحو خاص والملاحظة الاساس التي نود ان نسجلها هنا من خلال متابعة تطور النظريات اللسانية هو ان الدلالة اصبحت شرطاً رئيساً لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة اللغة ، وإن أي نظرية لغوية يتوجب عليها أن تجمع بين أمرين لا يمكن أن تقوم هذه النظرية بدونهما هما النحو والدلالة ويكاد أن يكون مسلماً به اليوم إن بنية اللغة هي في حقيقتها بنية الفكر .

هوامش البحث

١- ينظر : علم الدلالة (عوض) ١٥٨ .
٢- ينظر نفسه نفسها ، ويلاحظ أختلاف دلالة كلمة (عصب) مثلاً في السياقات اللغوية الاتية : عصب القوم أمرٌ : همهم واشتد عليهم ، عصب الريق فاه : أيْبَسَهُ ، عصب رأسه الغبار : ركبه ... الخ ينظر ١٥٩ .
٣- علم الدلالة (عوض) ١٦٠ .
٤- ينظر : علم الدلالة (بالمر) ٦١، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٨٢ ، وعلم الدلالة (عمر) ٧١.
٥- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٨٢ ، وينظر علم الدلالة (بالمر) ٦١.
٦- ينظر علم الدلالة (بالمر) ٦١ .
٧- علم الدلالة (بالمر) ٦١ .
٨- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٨٢ .
٩- علم الدلالة (بالمر) ٦١ . وينظر اللغة والمجتمع ٤٠ .
١٠- الاتجاه الوظيفي ٨٢ .
١١- علم الدلالة (بالمر) ٦١ .
١٢- نفسه ٦١-٦٢.
١٣- نفسه ٦٢ .
١٤- الاتجاه الوظيفي ٨٢ .
١٥- علم الدلالة (بالمر) ٦٣ .
١٦- ينظر علم الدلالة (بالمر) ٦٣.
١٧- علم الدلالة (بالمر) ٦٢، ويشير (بالمر) الى أن (مالينوفسكي) هو ليس الوحيد الذي يدلي بهذا الافتراض الخاطيء ، ينظر : ٦٢.
١٨- ما معنى نظرية المعنى ٦٣، وينظر : مدخل الى اللسانيات ٧٩ ، واللغة والمجتمع ١١٧-١١٩ .
١٩- علم الدلالة (بالمر) ٦٣، وينظر الاتجاه الوظيفي ٨٢ ، ومدخل الى اللسانيات ٧٩-٨٠ .
٢٠- علم الدلالة (بالمر) ٦٣ .
٢١- الاتجاه الوظيفي ٨٢ .
٢٢- علم الدلالة (بالمر) ٦٣ . وينظر : ٦٤ .

٢٣- ما معنى نظرية المعنى ٦٨ .
٢٤- الاتجاه الوظيفي ٨١-٨٢، وينظر مدخل الى اللسانيات ٧٩ .
٢٥- مامعنى نظرية المعنى ٦٣ ، وينظر الاتجاه الوظيفي ٨٢ ، وعلم اللغة الاجتماعي ١٩ ، وما بعدها ، والدلالة السياقية عند اللغويين ٤٧- ٤٩ .
٢٦- ما معنى نظرية المعنى ٦٣ .
٢٧- ينظر علم الدلالة (عمر) ٦٨ . ويلاحظ ان كتابات (فيرث) قد تركزت في المعنى والاصوات .
٢٨- الاتجاه الوظيفي ٨٨ .
٢٩- نفسه نفسها .
٣٠- نفسه ٨٩ .
٣١- ينظر ما معنى نظرية المعنى ٦٠ .
٣٢- علم الدلالة (بالمر) ٦٣. وينظر : علم الدلالة (عمر) ٦٩ ، وعلم الدلالة (عوض) ١٥٩ وما بعدها ، ومات معنى نظرية المعنى ٦١ .
٣٣- الاتجاه الوظيفي ٨٣ .
٣٤- نفسه ٨٢ .
٣٥- نفسه ٨٣ .
٣٦- الصواب الاثر نفسه .
٣٧- الاتجاه الوظيفي ٨٣ .
٣٨- ينظر علم الدلالة (عمر) ٦٩ وما بعدها ، وعلم الدلالة (عوض) ١٥٨ وما بعدها ، والدلالة السياقية عند اللغويين ٨٠- ٨٢ .
٣٩- علم الدلالة عوض ١٦٣ .
٤٠- ما معنى نظرية المعنى ٦٠ .
٤١- نفسه نفسها .
٤٢- ما معنى نظرية المعنى ٦٤ ، وينظر المعجم العربي وعلم الدلالة ٤٣ ، وما بعدها .
٤٣- علم الدلالة (عوض) ١٦٨ ، وينظر : ما معنى نظرية المعنى ٦٣ ، والدلالة السياقية عند اللغويين ١٣٩
٤٤- ما معنى نظرية المعنى ٦٥ ، وعن طريق الصياغة الجيدة للجمل التي نضمنها معنى قواعدياً من خلال الاعتماد على القواعد في بنائها نحكم على هذه الجمل بأنها تحمل صفة المقبولية تنظر ٦٥ .
٤٥- ما معنى نظرية المعنى ٦٣ .
٤٦- علم الدلالة (بالمر) ٦٤ .
٤٧- ما معنى نظرية المعنى ٦٤ .
٤٨- خصص (فيرث) مساحة واسعة للحديث عن هذا الموضوع تحت مصطلح : الرصف أو المصاحبة ، ويراد به الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة . او ارتباط إستعمال وحدة معجمية منفصلة بإستعمال وحدة معجمية منفصلة أخرى، ومثال ذلك ارتباط كلمة (منصهر) بمجموعة من الكلمات مثل : حديد ، نحاس ، ذهب ، فضة ... الخ وعدم ارتباطها مع كلمة (جلد) . واذا لجأ الى الدليل الشكلي لتحديد سبب عدم الملاءمة نجد ان الحديد ، والنحاس ، والذهب ، ....الخ تتقاسم عدداً من الترابطات مثل الصلابة والثقل ، والبريق والبرودة ، اما في مجموعة(الجلد) فنجد بدلاً من ذلك صفات الخفة والليونة وانطفاء اللون الخ .
٤٩- ينظر دراسات في علم اللغة . القسم الثاني ١٧٢- ١٧٥ ، واللغة العربية معناها ومبناها ٣٣٧ وما بعدها ، وعلم الدلالة (عوض) ١٦٥- ١٦٨ . والمعجم العربي وعلم الدلالة ٢٤٦- ٢٤٩ .

٥٠- ما معنى نظرية المعنى ٦٣ .
٥١- علم الدلالة (بالمر) ٥٧ .
٥٢- نفسه نفسها .
٥٣- نفسه نفسها .
٥٤- نفسه ٥٨ .
٥٥- الاتجاه الوظيفي ٨٣ .
٥٦- علم الدلالة (بالمر) ٥٨ .
٥٧- نفسه نفسها .
٥٨- ما معنى نظرية المعنى ٦٥.
٥٩- نفسه نفسها .
٦٠- ما معنى نظرية المعنى ٦٥ .
٦١- الاتجاه الوظيفي ٨٣.
٦٢- نفسه نفسها .
٦٣- نفسه نفسها .
٦٤- علم الدلالة (بالمر) ٥٩ .
٦٥- ينظر نفسه نفسها .
٦٦- ينظر نفسه ٦٠ .
٦٧- علم الدلالة (بالمر) ٦٠ ، يقصد بالاشارة هنا علاقة العناصر اللغوية كالكلمات والجمل بالعالم غير اللغوي للخبرة ويقصد بالترابط : النظام المعقد للعلاقات القائمة بين العناصر اللغوية نفسها أي العلاقات داخل اللغة . ينظر ٣٧ .
٦٨- ينظر علم الدلالة (بالمر) ٦٠.
٦٩- الاتجاه الوظيفي ٨٣.
٧٠- نفسه ٨٤ ، وينظر ايضاً ٨٣-٨٤.
٧١- من امثلة هذه العلاقات الترداف والتضمن التحليلي الذي نجده في جمل مثل : إذا كان (×) عازباً فإنه ليس متزوجاً ، وإذا كان (×) زوجاً لـ(y) فإن (y) زوجته . وإذا كان (×) أرقى منزلة من (y) فإن (y) أدنى منزلة من (×) . وإذا كان (×) قرمزي فإنه أحمر اللون . وإذا كان (×) أحمر اللون فإنه ليس ازرقاً أو أخضراً أو أبيضاً ...الخ ، ينظر : ما معنى نظرية المعنى ٦٦ .
٧٢- ينظر علم الدلالة (بالمر) ٦٤، وعلم الدلالة (عمر) ٧٣-٧٤ ، وما معنى نظرية المعنى ٦٦ .
٧٣- علم الدلالة (عمر) ٧٣.
٧٤- ما معنى نظرية المعنى ٦٥.
٧٥- نفسه نفسها ، وينظر ٦٩ .
٧٦- علم الدلالة (بالمر) ٦٥.
٧٧- علم الدلالة (بالمر) ٦٥. ويذكر (بالمر) على سبيل المثال ان المعاني التي تتحملها جملة مثل (أنا أبحث عن الخرطوم) يعتمد على معرفتنا بأن للفيل خرطوماً ، وأن عاصمة السودان هي الخرطوم . ومثل هذا يمكن قوله في جملة ، مثل (يدور العقرب بسرعة) التي تبتنى احتمالاتها المعنوية على معرفتنا بعالم الخبرة أيضاً . كذلك معرفة الشذوذ في جملة ما من عدمه يعتمد على هذه الخبرة . تنظر ٦٠ .
٧٨- علم الدلالة (بالمر) ٦٥.
٧٩- نفسه نفسها .

٨٠- الدلالة السياقية عند اللغويين ١٧٩ . وتنظر أيضاً ٣٧ .
٨١- كتاب سيبويه ١/ ٣٤ .
٨٢- ينظر نفسه ١/٢٤٤.
٨٣- نفسه ١/ ٢٥٧.
٨٤- نفسه نفسها .
٨٥- كتاب سيبويه ١/٢٥٧ .
٨٦- نفسه ١/ ٢٥٨ .
٨٧- نفسه ١/ ٣١٩، ٣٢٠ .
٨٨- نفسه ١/ ٢٨٠ .
٨٩- نفسه ١/ ٢٨٠ ، ٢٨١.
٩٠- نفسه ١/ ٢٨١.
٩١- نفسه ١/ ٢٩٠ .
٩٢- نفسه نفسها .
٩٣- ينظر كتاب سيبويه ١/ ٢٥٧، و ١/ ٢٨٢ ، وينظر أمثلة أخرى في الكتاب منها على سبيل المثال في : ١/ ٢٧١، ٢٧٢ ، و١/ ٧٤، ٧٥، و١٠٣/٣ ، وما ينظر الدلالة السياقية عند اللغويين ١٠٣ ، ١٠٥ .
٩٤- ديوان الاعشى العقيدة رقم ١٢ الصفحة ٩٥.
٩٥- الوساطة بين المتنبي وخصومه ٣٤٦ ، وينظر الدلالة السياقية عند اللغويين ٩٧ ، ويمكن ان نقارن قوله هنا بقول (مالينوفسكي) السابق في حديثه عن صعوبة الترجمة .
٩٦- الوساطة بين المتنبي وخصومه ٣٤٧.
٩٧- الخصائص ١/ ٢٦٠ .
٩٨- الخصائص ١/ ٢٦٠ ، وينظر : ما معنى نظرية المعنى ٦١ ، والدلالة السياقية عند اللغويين ١٤٢ .
٩٩- ينظر ما معنى نظرية المعنى ٦١.
١٠٠- الخصائص ١/ ٢٦٠ .
١٠١- نفسه ١/ ٢٦١.
١٠٢- نفسه ١/ ٢٦١.
١٠٣- نفسه ١/ ٢٦٢.
١٠٤- نفسه نفسها ، وينظر الدلالة السياقية عند اللغويين ١٤٤.
١٠٥- اللمع في العربية ٧٧.
١٠٦- ينظر الخصائص ٧٨، وينظر : شرح ديوان عمربن أبي ربيعة ٤٩٠ ، وقد تقدم أن اصحاب نظرية السياق وعلى رأسهم (فيرث) كانوا يعنون تشابه المواقف ، والعلاقات المتبادلة بينها ، وعلى الرغم من ما يكتنف ذلك من صعوبة منهجية .
١٠٧- الخصائص ١/ ٢٣٣.
١٠٨- نفسه ٢/ ١٥٠ ، وينظر الدلالة اللغوية عند السياقيين ١٤٣.
١٠٩- الخصائص ٢/١٥٠ .
١١٠- ينظر : ما معنى نظرية المعنى ٦١، والدلالة السياقية عند اللغويين ١٤١.
١١١- مامعنى نظرية المعنى ٦١ ، وتنظر أيضاً ٦٢ ، ٦٣ .
١١٢- دلائل الاعجاز ١٠٨ .
١١٣- ينظر نفسه ٨٧ .

١١٤- نفسه ١٠٧ و ١٠٨ وما بعدها .
١١٥- نفسه ١٥٤ .
١١٦- نفسه نفسها .
١١٧- نفسه نفسها .
١١٨- نفسه نفسها .
١١٩- نفسه ١٥٥ و تنظر ١٥٤ .
١٢٠- نفسه ١٤٧ .
١٢١- نفسه ١٥٠ والبيت ليس في ديوان جميل المجموع .
١٢٢- دلائل الاعجاز ١٤٦ ، وينظر كتاب سيبويه ١/ ٢٨١ ، وقد رواه سيبويه اعتاد قلبك من سلمى عوائده ...الخ وهو لعمر بن ابي ربيعة .
١٢٣- دلائل الاعجاز ١٥٢-١٥٣ ، وتنظر امثلة اخرى كثيرة على سبيل المثال ١٠٦ وما بعدها ، ١٤٦ وما بعدها ، ١٧٣ ومابعدها ١٧٧ وما بعدها وفيها أمثلة عن التقديم والحذف وفروق الخبر ، والتعريف والتنكير غير ذلك وينظر أيضاً الدلالة السياقية عند اللغويين ١٥٩ وما بعدها .
١٢٤- ينظر مثلاً : شرح المفصل ١/٣١٠ ، ومغني اللبيب ٢/ ٦٩٢ ، وينظر الدلالة السياقية عند اللغويين ٩٣ وما بعدها .
١٢٥- ينظر مثلاً : الرد على النحاة ١٥ ، ومغني اللبيب ٢/ ٦٩٤ .
١٢٦- ينظر الانصاف في مسائل الخلاف ١/ ١٩٧-١٩٩ ، واللغة العربية معناها ومبناها ١١٣ ومابعدها ، والعلامة الاعرابية ٩٩-١٠٢ .
١٢٧- الاتجاه الوظيفي ودوره في (تحليل) اللغة ٧١ ، وينظر أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٠٧ وما بعدها .
١٢٨- ينظر الرد على النحاة وتسويغ الرد على النحاة الذي اكتنف الكتاب كله.
١٢٩- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ١٦- ١٧ وتنظر أيضاً ٣٣٦ .
١٣٠- ينظر مثلاً اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤٣ ، ٣٧٢ .
١٣١- اللغة العربية معناها ومبناها ٢٨ ، ٢٩ ، وينظر ما معنى نظرية المعنى ٦٠ ، ٦٤ وعلم الدلالة (بالمر) ٦٤ ، وعلم الدلالة (عوض) ١٦٨ .
١٣٢- اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤١ ، وينظر المعجم العربي وعلم الدلالة ٢٤٣- ٢٤٤ .
١٣٣- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ٣٣٩ .
١٣٤- المعجم العربي وعلم الدلالة ٢٥٠ .
١٣٥- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤١ ، وينظر أيضاً التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٢- ١٦ .
١٣٦- اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤٢ .
١٣٧- نفسه نفسها ، وينظر مابعدها وينظر المعجم العربي وعلم الدلالة ٢٤٩ ، ٢٥٠ .
١٣٨- ينظر العربية معناها ومبناها ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، وامثلة كثيرة في الكتاب قبل هذه الصفحات وبعدها من فصل (الدلالة) .
١٣٩- اللغة العربية معناها ومبناها ٣٧٢ .
١٤٠- ينظر نفسه نفسها .
١٤١- نفسه ١٧ .

١٤٢- اللغة العربية معناها ومبناها ٣٥١ وينظر امثلة على السياقات المختلفة التي حاول المؤلف حصرها في صفحة ٣٦٥ وما بعدها .
١٤٣- نفسه ٣٧٢ .
١٤٤- ينظر مثلاً : من اسرار اللغة العربية ٢٣٦ ، دلالات الالفاظ ٣٩ وما بعدها و٤٤ وما بعدها وكذلك ٥١ وما بعدها .
١٤٥- ينظر مثلاً العلامة الاعرابية ٩٩-١٠٢ والنحو والدلالة ١٤٤ .
١٤٦- ينظر مثلاً وصف اللغة العربية دلالياً ٨٨ .
١٤٧- ينظر المعجم العربي وعلم الدلالة ٢٤٠ وما بعدها .
١٤٨- ينظر مثلاً العلامة الاعرابية ٩٩- ١٠٢ ، والنحو والدلالة ٧٣ ، ١٣٧.
١٤٩- النحو والدلالة ٥٧ .
١٥٠- ينظر نفسه ٦٤ ، ٦٥ .
١٥١- نفسه ١٤٤ .
١٥٢- نفسه ٥٠ .
١٥٣- نفسه ١٤٤، وينظر ما بعدها .
١٥٤- ينظر مثلاً : ١٤٧ وما بعدها ، و١٥٦ وما بعدها ، ١٦٦ وما بعدها ، ١٧٢ وما بعدها ، ٢١٨ وما بعدها .
١٥٥- ينظر وصف اللغة العربية دلالياً ٨٥ .
١٥٦- مدخل الى اللسانيات ٥٠ ، وينظر أيضاً ١٩ .
١٥٧- نفسه ٢٠ .
١٥٨- وصف اللغة العربية دلالياً ٨٨ .
١٥٩- وقد أشرنا ايضاً الى ان مفهوم (الاشارة) و (الأمالة) عنده غامضٌ وملتبس ويكاد يظهر الاثنان على انهما واحدٌ عنده . ينظر وصف اللغة العربية دلالياً ٨٧ .
١٦٠- مدخل الى اللسانيات ٥٥ .
١٦١- نفسه نفسها .
١٦٢- وصف اللغة العربية دلالياً ٨٨ .
١٦٣- ينظر : مدخل الى اللسانيات ٥٥ .
١٦٤- نفسه نفسها ، وينظر الجدول في صفحة ٥٦ .
١٦٥- وصف اللغة العربية دلالياً ٨٨ .
١٦٦- نفسه ٨٦ .
١٦٧- نفسه نفسها .
١٦٨- مدخل الى اللسانيات ٥٤ .
١٦٩- نفسه نفسها ، وهناك أمثلة أخرى ذكرها د. يونس تنظر مثلاً ٨٩، ٩٠.
١٧٠- ينظر الاتجاهات الاساسية في علم اللغة ٧٦ .
١٧١- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ٣٦٥ وما بعدها ، وما معنى نظرية المعنى ٦٥ والدلالة السياقية عند اللغويين ٧٩ .
172- -Conceptual Integration and formal Expression 183-204
١٧٣- ينظر اللسانيات والدلالة ٣٣ وكذلك ١٨٤ – ١٨٦ ومدخل الى الدلالة الحديثة ٩٨ ، ١١٠ –١١١ ، ونظريات لسانية عرفنية ٢٠١- ٢٠٢.

١٧٤- Blending and Metaphor 2 ، وينظر : دلالة اللغة وتصميمها ٢٢، ونظريات لسانية عرفية ٢٠١- ٢٠٢ .

١٧٥- مدخل الى الدلالة الحديثة ١٠٩ ، وينظر : نظريات لسانية عرفنية ٢٠١- ٢٠٢ .

١٧٦-ينظر مدخل الى الدلالة الحديثة ٩٥ .

١٧٧- ينظر نفسه ٩٦ .

١٧٨- مدخل الى الدلالة الحديثة ١١٥ . وينظر فصول في الدلالة ١٥٠ وما بعدها وقضايا (ابستمولوجية) في اللسانيات ٩٢ وما بعدها. ومناهج علم اللغة من (هيرمان باول) حتى (نعوم تشومسكي) ٢٠٢ .

١٧٩-مدخل الى الدلالة الحديثة ٩٦ .

١٨٠- ينظر مدخل الى الدلالة الحديثة ٩٦، ٧٩، ١١ ومناهج علم اللغة من (هيرمان باول) ٢٠٢ وينظر ٩٧ وما بعدها وينظر فصول في الدلالة ١٥٣-١٥٤ .

١٨١- ينظر مدخل الى الدلالة الحديثة ٩٩، وعلى هذا الاساس سيكون قولاً ساذجاً ان نقول ان المعلومات التي تنقلها اللغة تتكون من الافكار التي تتحدث عن العالم الحقيقي . كما تقدم في نظرية الاشارة . ينظر مدخل الى الدلالة الحديثة ٩٨وفصول في الدلالة ١٥٣- ١٥٤ .

١٨٢- Mental Spases 1 ، وينظر نظريات لسانية عرفنية ٢٠٧ .

١٨٣- Mental Spases 1

١٨٤- Mental Spases 1-2

١٨٥- Mental Spases 2 وينظر .
Conceptual Integration and Expression 183- 204.

١٨٦- Mental Spases 2-3

١٨٧- Mental Spases 3

١٨٨- نفسه نفسها

١٨٩- مدخل الى الدلالة الحديثة ١٠٩ .

١٩٠- Mental Spases 3

١٩١- استعملنا هذا التعبير الشائع (جملة المفعول به) والمقابل الدقيق في العربية (تركيب المفعول به) لأنها ترجمة لـ (clause) في الانجليزية .

١٩٢- Mental Spases 3-4

١٩٣- Mental Spases 4 ، وينظر مدخل الى الدلالة الحديثة ٩٦-٩٧.

١٩٤- Mental Spases 4

١٩٥- نفسه نفسها .

١٩٦- نفسه نفسها .

١٩٧- نفسه نفسها . وينظر نظريات لسانية عرفنية ٢٠٦- ٢٠٩ .

١٩٨- Mental Spases 5 . وينظر لسانية عرفنية ٢٠٩ .

١٩٩- Mental Spases 5

٢٠٠- نفسه نفسها .

٢٠١- Mental Spases 6.

٢٠٢- نفسه نفسها وينظر
Conceptual Integration and formal Expression 183-204

٢٠٣- ينظر .Deixis I n Narrative 97-98 وينظر نظريات لسانية عرفنية ٢٠٦، ٢٠٧ .

٢٠٤- نفسه نفسها والامثلة السابقة جميعها تبين بوضوح ما اشرنا اليه سابقاً من وجود عالمين أو واقعين الاول حقيقي (خارجي) والثاني مسقط أو متخيل أو ملتقط أياً كان التعبير الذي نستعمله .

٢٠٥- ينظر Mental Spases 7-8 ، وينظر أيضاً فصول في الدلالة ١٦٠وما بعدها .

٢٠٦- ينظر Mental Spases 8-9 .
٢٠٧- ينظر Mental Spases 19-40 ، وينظر أيضاً دلالة اللغة وتصميمها ٢٢.
٢٠٨- ينظر Mental Spases 13-14 .
٢٠٩- ينظر نفسه 15-14 .
٢١٠- ينظر مدخل الى الدلالة الحديثة١٠٥ وينظر أيضاً فصول في الدلالة ١٦٤ وما بعدها .
٢١١- Mental Spases 23-24 في هذا الكلام تتطابق وجهات النظر بين (فوكنر) و (جومسكي) الذي يعد أول من اكد على جانب العموميات اللغوية ينظر (جومسكي) ١٣٦ وما بعدها ودلالة اللغة وتصميمها ٢٢ وقضايا (ابستمولوجية) في اللسانيات ٩٢ وما بعدها .
٢١٢- Mental Spases 23-24 .
٢١٣- ينظر نفسه 25 .
٢١٤- نفسه نفسها .
٢١٥- نفسه نفسها وينظر نظريات لسانية عرفنية ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
٢١٦- ينظر نفسه ٢٦.
٢١٧- Mental Spases 27 .
٢١٨- وينظر (جومسكي)٤٦ .
٢١٩- لهذا نظير في العربية وهو ما يسمى بالنحت مثل البسملة والحيعلة ...الخ .
٢٢٠- Mental Spases 27
٢٢١- التسمية الانجليزية trush can basketball اكثر وضوحاً لأنها تقول : لعبة كرة السلة بسلة النفايات .
٢٢٢- Mental Spases 27
٢٢٣- نفسه نفسها ، ، والغرض من كل هذه الامثلة توضح عملية دمج الفضاءات في الذهن .
٢٢٤- Mental Spases 30
٢٢٥- نفسه نفسها وينظر (جومسكي) ١١٣ وما بعدها .
٢٢٦- ينظر Alternate Grounds in the Intetrprtution of Deictic Expressions
٢٢٧- ينظر كتاب (زبيكوسكي) Conceptual blending and song
٢٢٨- لكي يتم اثبات واعية المفاهيم الفضائية انصب البحث على أنسقه ادراكية معرفية اخرى ، مثل نسق البصر ونسق الحركة . فواقعية هذه المفاهيم من مكان ومسار وشيء مرتبط بوجودها في الانسقة غير اللغوية . مدخل الى الدلالة الحديثة ١٠٤ وينظر فصول في الدلالة ١٥٢-١٥٣ .
٢٢٩- ينظر Alternate Grounds in the Intetrprtution of Deictic Expressions183 -204 .
٢٣٠- ينظر مدخل الى الدلالة الحديثة ٩٧ ، ودلالة اللغة وتصميمها ٢٢ وما بعدها .
٢٣١- ينظر نفسه نفسها وينظر جومسكي ١٣١ وما بعدها .
٢٣٢- مدخل الى الدلالة الحديثة ١٠٢ .
٢٣٣- نفسه ١٠٣.
٢٣٤- مايذكره (فوكنر) هنا يعطي أهمية كبيرة لما ذهب اليه قبل عقود من الزمن د. ابراهيم أنيس عندما قال : هل يمكن حقاً أن تكون الجملة مستقلة كما يشترط معظم اللغويين ؟ أليس الحوار بين المتكلم والسامع مرتبط الاجزاء يفسر بعضه بعضاً ويعين بعضه على فهم البعض الآخر ؟ ألسنا نستمد الفهم من تجاربنا السابقة حيناً ومن سياق الكلام حيناً آخر ؟ فأين هذا الكلام المستقل بالفهم الذي لا نستعين فيه بكلام سبقه ولا بتجارب ماضية ... الخ . من اسرار اللغة ٢٣٦ ، وبنظر دلالات الالفاظ ٣٩- ٥٢ .

٢٣٥- ينظر Mental Spases 5
٢٣٦- ينظر مدخل الى الدلالة الحديثة ٩٥ وما بعدها وفصول في الدلالة ١٥٢ وما بعدها .
٢٣٧- ينظر مدخل الى الدلالة الحديثة ١١٠-١١١.
٢٣٨- ينظر نفسه ١١١.

روافد البحث

القران الكريم :

١- أضواء على الدراسات العربية المعاصرة ، دكتور نايف خرسا سلسلةو عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب – الكويت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ م .
٢- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الانباري (ت ٥٧٧ هـ) ومعه كتاب الانتصاف من الانصاف تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد العصرية صيدا –بيروت ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م .
٣- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، وفي الدلالة الصوتية والنحوية والمعجمية د. مجيد الماشطة ط١ دار النشر للجامعات . مصر ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م .
٤- جومسكي ، جون لاينز ، ترجمة بيداء علي العبيدي ، ونغم قحطان العزاوي ، مراجعة د. سلمان داو الواسطي ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ٢٠٠١ م .
٥- الخصائص لأبن جني : ابي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق ، د. عبد الحميد هنداوي ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٦- دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ط٣ مطبعة المدني ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م .
٧- الدلالة السياقية عند اللغويين ، د. عواطف كنوش المصطفى دار السياب للنشر لندن ٢٠٠٧ م .
٨- دلالة اللغة وتصميمها ، جاكنرون ، ون تشومسكي ، فندلر ، ترجمة محمد غاليم ومحمد الرحالي وعبد المجيد حجفة دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٧ م .
٩- ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق الدكتور م. محمد حسنين ، مكتبة الاداب بالجماميز .
١٠- الرد على النحاة ، لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن وضاء اللخمي القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .

١١- شرح المفصل ، موفق الدين ابو البقاء ابن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ) تحقيق إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .
١٢- العلامة الاعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، د.محمد حماسة عبد اللطيف ، الكويت ١٩٨٤ م.
١٣- علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢ م .
١٤- علم الدلالة ، أف ، آر . بالمر ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة الناشر الجامعة المستنصرية بغداد ، ١٩٨٥م .
١٥- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ، د. فريد عوض حيدر ، الناشر مكتبة الاداب ، القاهرة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .
١٦- علم اللغة الاجتماعي ، د. هدسن ، ترجمة د. محمود عبد الغني عياد ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٧ م .
١٧- فصول في الدلالة مابين المعجم والنحو ، د. الازهر الزناد ، الدار العربية ، الناشرون الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ١٤٣١ - ٢٠١٠.
١٨- قضايا ابيستمولوجية في اللسانيات ، حافظ اسماعيل علوي ، ومحمد الملاخ ، الناشر الدار العربية للعلوم ، بيروت ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م .
١٩- كتاب سيبويه (ت١٨٠ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هاور ن ط٣ مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .
٢٠- اللسانيات والدلالة ، د. منذر عياشي ، ط٢ مركز الانماء الحضاري ٢٠٠٧ م .
٢١- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ط٥ عالم الكتب القاهرة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م .
٢٢- اللغة والمجتمع ؛ م م. لويس ؛ ترجمة د. تمام حسان عالم الكتب القاهرة ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م .
٢٣- اللمع في العربية ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق حامد المؤمن ط١ مطبعة العاني بغداد ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
٢٤- مدخل الى الدلالة الحديثة ؛ عبد الجبار حجفة دار توبقال ،الدار البيضاء ، ٢٠٠٠ م .
٢٥- مدخل الى اللسانيات ؛ د. محمد محمد يونس علي ، دار الكتاب الجديد ، المتحدة ، بيروت، ٢٠٠٤ م .

٢٦- المعجم العربي وعلم الدلالة ؛ د. محمد احمد حماد ، د. أحمد محمد عيسى ، دار النشر الدولي ، الرياض ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
٢٧- مغني اللبيب .
٢٨- من اسرار اللغة ؛ د. ابراهيم أنيس ط٨ مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٣ م .
٢٩- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ، برجيته بارتشت ، ترجمة ، د. سعيد بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م .
٣٠- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ؛ د. محمد حماسة عبد الطيف ، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة ، ٢٠٠٦م .
٣١- نظريات لسانية عرفنية ؛ د. مزهر الزناد ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف ، بيروت ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .
٣٢- وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وظلال المعنى ؛ د. محمد يونس علي ، منشورات جامعة الفاتح طرابلس ، ليبيا .

المجلات

١- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ؛ يحيى أحمد مجلة عالم الفكر ، العدد ٢٠ ، مجلد ٣، ١٩٨٩ .
٢- ما معنى نظرية المعنى عند (فيرث)؛ جون لا ينز ترجمة ، د. عبد الكريم مجاهد ، مجلة آفاق عربية ، بغداد ، كانون الاول ، ١٩٩٠ م .

المصادر الأجنبية

1. Alternate Grounds in the interpretation of Deictic Expressions Fauconnier . GTE Sweeter , EDSspaces worlds and Grammar : Rubba . J, Chicago , University of Chicago press , 1996 .
2. Conceptual Blending and song : Zbikowski , Lawrence Mannscript . University of Chicago 1995 .
3. Concepual Integration and Formal Expression : Turner mark and Gilles Fauconnier Journal of Metaphor and Symbolic Activity , Volume 40 , 1995

الاطاريح

Deixis in Narrative Reprasnting Mental Spase in Handys Novels : AL – Thamery . A, unpublished PHD. Thesis . University of Basrah , 2007 .